الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلـــــــــــــــــــــة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السحر في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبـــــــــــــــــــة: إشراف الأستـــــــــــــــــــاذ:

حنـــــــان ربـــــــاح د.عبد السلام

همال

السنة الجامعية: 1434– 1435هـ/ 2013– 2014مـ

الشكر والعرفان

قال الله تعالى(لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) سورة إبراهيم، الآية 07

بسم الله والحمد والشكر رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع ولو بكلمة تشجيع وأخص بالذكر الأستاذ المشرف" عبد السلام همال"ماقدم لي من نصائح وتوجيهات حفظه الله وأدام عليه الصحة والعافية .

وأشكر أساتذتي الأجلاّ ء من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة الماستر.

والى كل عائلتي الكريمة التي كانت بجانبي في كل اللحظات وخاصة أختي إيمان التي أعانتني في كتابة البحث.

الإهداء

إلى أبي الغالي

صاحب القلب الصافي، والعقل المستنير والكلمة الطيبة، و اليد المعطاءة....

إلى الذي هون عليّ الصعاب،وحمل عني العذاب، وفتح لي كل الأبواب....

إلى أمي الحبيبة

ملكة النوايا الطيبة،وصاحبة القلب الصادق، وأميرة العطاء بدون هوادة....

إليكما وحدكما يا من تعبتما لأجل راحتي،وملأتما أفكاري بنور الإيمان وحب خالق الأكوان...

فيا رب احفظهما واجعل الجنة مسكنهما ...

حنان

-

فهرس الموضوعات

المقدمـــــــــــة

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ- و
الفصل التمهيدي : ماهية السحر	
1-تعريف السحر	14-08
أ- التعريف اللغوي	09-08
ب- التعريف الاصطلاحي	14-10
2-أنواع السحر.....	16-14
أ-سحر الكلدانيين والكشدانيين	14
ب- سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية.....	14
ج- سحر الإستعانة بالأرواح الأرضية.....	15
د- سحر التخيلات والأخذ بالعيون	15
ه- سحر الأعمال العجيبة	15
و- سحر الإستعانة بخواص الأدوية	16
ي- سحر تعليق القلب	16
ز- سحر السعاية والنميمة.....	16
3-بيان حقيقة السحر.....	18-16
4-بيان تحريم السحر	20-18
الفصل الأول: عوامل ظهور السحر في بلاد المغرب	
أولا- المعتقدات الدينية.....	30-22
1- الوثنية.....	24-22
2- اليهودية.....	27-24
3- المسيحية.....	30-28
ثانيًا- الأوضاع السياسية والإقتصادية.....	34-30
1- الأوضاع السياسية	33-30
2- الأوضاع الإقتصادية.....	34-33

ثالثا : علاقة السحر بالمعجزة والكرامة	38-35
1- علاقة السحر بالمعجزة.....	35
2- علاقة السحر بالكرامة	38-36
الفصل الثاني: مظاهر السحر في بلاد المغرب	
أولا : الممارسات السحرية.....	47-40
1- الطالع والتنجيم	43-40
2- خط الرمل	45-43
3- علم الكتف	45
4- القرعة.....	47-46
ثانيا: تأثير ظاهرة السحر على المنظومة الإجتماعية.....	50-48
الخاتمة.....	52
الملاحق.....	55-54
الوراقية.....	65-57
الكشافات.....	70-67
فهرس الموضوعات.....	73-72

أ-أهمية الموضوع وإشكاليته:

ظلَّت الدراسات التاريخية المتعلقة بالظاهرة الغيبية في بلاد المغرب في العصر الوسيط غائبة عن الحقل التاريخي وبالذات التاريخ الإجتماعي، و لم تطلعنا المصادر التاريخية عن هذه الظواهر إلا عرضاً مبثوثةً في التاريخ السياسي والعسكري.

ولقد عرف المجتمع المغربي تغيرات جذرية عبر فترات ومراحل مختلفة من مساره التاريخي بدرجات متفاوتة وفق ما يتماشى وأعرافه، ويتلاءم مع ذهنيته، ورغم الدور الذي لعبه الدين الإسلامي في إعادة غربلة الذهنية البربرية، وتنظيم الحياة الإجتماعية لسكان بلاد المغرب، إلا أن المغاربة لم ينسلخوا عن العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية المتوارثة جيلاً بعد جيل والتي رسخت في أذهانهم.

ويظهر في كل عصر وفي كل مجتمع أناس يشغلون بعض نواحي الضعف في البشرية لأغراضهم الخاصة، فيبرزون في زي الساحر والكاهن والدجال وغير ذلك. مما يتيح لهم الفرصة لقضاء مآربهم متخذين من ذلك مكسباً لهم وباباً يسترزقون منه.

وإنه لمن المؤسف أن يتجرد المرء من عقلانيته ومنطقيته، وينغمس في تصديق مايمليه عليه ذوي النفوس الشريرة.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني لإختيار الموضوع ما يلي:

1-تطلعي لتسليط الضوء على بعض الظواهر الغيبية التي ظلت في حكم المسكوت عنه في مجال الدراسات التاريخية والإجتماعية، وصمت الأسطوغرافيا المغربية في إستجلاء هذه الظواهر الإجتماعية المرتبطة بعقلية الفرد المغاربي إرتباط مباشر.

2-إنتشار ظاهرة السحر في مجتمعنا، مما أثار في نفسي التساؤل والحيرة عن طبيعة وجذور هذه الظاهرة، التي أضحت مشكل إجتماعي كبير، أثر سلباً على العلاقات الإنسانية والإجتماعية، بما فيها الأسرية.

3-لفت إنتباه الباحثين لهذا النوع من القضايا، التي لا زلنا نجهل عنها الكثير من الحقائق خاصة وأن الموضوع لم تسبق فيه الدراسة في المجال الإجتماعي.

4-إدراكي لأهمية دراسة التاريخ الإجتماعي، لأن المجتمع هو المحرك الأساسي للنشاط السياسي والإقتصادي.

5-إبراز الدوافع والأسباب التي جعلت الفرد المغربي يتجه لمثل هذه السلوكات السلبية.

وتتمحور إشكالية البحث حول مدى تحكم، وهيمنة الفكر الخرافي من سحر وكهانة في سلوك الفرد المغربي خلال العصر الوسيط، وعلى هذا نطرح التساؤلات التالية:

1-ما الماهية التي يمكن إعطاؤها لظاهرة السحر؟.

2-ما هي العوامل التي ساعدت على ذيوع ظاهرة السحر في بلاد المغرب الإسلامي في الفترة الوسيطية؟.

3-كيف أثرت الأوضاع السائدة في بلاد المغرب على ظهور ظاهرة السحر؟.

4-إلى أي مدى برزت الظاهرة السحرية في المنظومة الفكرية والإجتماعية؟.

5-فيما تمثلت مظاهر السحر في المغرب الإسلامي؟.

وإذا أمطنا اللثام على الدراسات السابقة، فلا نكاد نحصل على دراسة تاريخية حول الموضوع، إلا ما انفرد به المؤرخ المغربي إبراهيم القادري بوتشيش في كتابه"الإسلام السري في المغرب الإسلامي"، والذي عالج فيه حركة المتنبئين والسحرة في الغرب الإسلامي و كتاب" المغرب والأندلس في عصر المرابطين" والذي تطرق فيه إلى المجتمع الذهنيات والأولياء. إضافة إلى الدراسة التي قامت بها حياة سعيد عمر أخضر، عبارة عن رسالة ماجستير، وهي دراسة عقائدية، بعنوان "موقف الإسلامي من السحر"والتي احتوت على جزئين.

ب- المنهج:

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يستند على إستقاء المادة العلمية من مصادرها الولية بتوظيف تقنيات الإستقراء والإستنباط والتحليل للمادة.

جـ- الصعوبات:

ولا يمكن حصر الصعوبات والظروف، التي أنجز فيها هذا البحث، إلا أنه يمكن ذكر بعض منها:

1-ضيق الوقت الممنوح للدراسة والذي أثر سلباً على مسار الدراسة، فلم أتمكن من تغطية الموضوع بكل جوانبه، لأن طبيعة الموضوع تحتم علينا كثير من العمق والدقة والتفصيل، إنضاف إلى ذلك شح المادة العلمية.

2-إتساع المدة الزمنية المحددة للبحث والمتمثلة في فترة العصر الوسيط، مما صعب علينا الإمساك بكل الأوضاع السائدة خلال الفترة المحددة للدراسة.

3-صعوبة إستنطاق بعض النصوص التاريخية، خاصة نصوص النوازل الفقهية التي تستوجب الإلمام بالعلوم الفقهية.

د-عرض الموضوع:

وبحسب ما توفر لدي من المادة العلمية اعتمدت على خطة بحث مكونة من مقدمة وضَّحتُ فيها أهمية الموضوع وإشكاليته، وأشرت إلى بعض دراسات السابقة حول الموضوع، والمنهج المتبع في الدراسة، وعرض أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

وفصل تمهيدي كان بعنوان "ماهية السحر"، والذي تعرضت فيه إلى تعريف السحر من الناحية اللغوية والإصطلاحية، وأنواعه، وبيان حقيقته، وبيان تحريمه.

وفي الفصل الأول الذي جاء بعنوان "عوامل ظهور السحر في بلاد المغرب الإسلامي"، تطرقت في بدايته إلى المعتقدات التي اكتسبها المغاربة من الديانات التي تواجدت في بلاد المغرب، والمتمثلة في الوثنية واليهودية والمسيحية، ثم عرجت فيه إلى بعض الأوضاع السياسية والإقتصادية السائدة في المغرب الإسلامي منذ الفتح الإسلامي للمغرب، وأنهيته بإبراز علاقة السحر بالمعجزة والكرامة.

أما الفصل الثاني المعنون بـ"مظاهر السحر في بلاد المغرب"، والذي تضمن الممارسات السحرية التي سلكها الإنسان المغربي في العصر الوسيط. وكذا تأثيرات السحر على المنظومة الإجتماعية.

وأنهيت الموضوع بخاتمة تضمنت مجمل نتائج هذا البحث.

ه- أهم المصادر والمراجع:

1- المصادر:

بالرغم من ندرة المصادر التاريخية المهتمة بالموضوع، إلا أن بعضها قد أفادني في إستجلاء المادة العلمية المتعلقة بالموضوع، نذكر أهمها:

أ-كتب الرحلة والجغرافيا:

وتكمن أهمية هذا النوع من المصادر في كونها تقوم على المشاهدة والمعاينة للأحداث والوقائع والوقوف عليها، نذكر منها ما يلي:

1-أبي عبيد الله البكري(ت487ه/1094م):"المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" جزء من كتاب المسالك والممالك ، والذي حفل بمعلومات وحقائق أنارت لي الطريق بالكشف عن كثير من الأحوال الإجتماعية والمعتقدات الشعبية السائدة في بلاد المغرب الإسلامي، ولا يمكن لدارس تاريخ المغرب في الفترة الوسيطية أن يستغني عن كتاب البكري.

2-الحسن الوزان بن محمد الفاسي(ت957ه/1550م):"وصف إفريقيا"، ويتكون من جزئين، ويعتبر هذا الكتاب شاهد عيان لشمال إفريقيا، حيث استفدت منه في مواضع كثيرة من البحث، خاصة في إبراز مظاهر السحر في بلاد المغرب.

3-أبي عبد الله محمد بن عبد الله الادريسي(ت560ه/1164م):"نزهة المشتاق في إختراق الأفاق"، والذي أمدني بحقائق قيمة، حيث أعطى لنا وصفاً شاملاً لأهم الأماكن التي شاعت فيها الممارسات السحرية.

4-ابن الحاج النميري(ت774ه):"فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب"، والذي أفادني في إبراز طبيعة العلاقات بين الدولة المرينية والدول المسيحية.

ب-كتب النوازل الفقهية:

تكتسي كتب النوازل الفقهية أهمية بالغة بالنسبة للدراسات التاريخية، من خلال السؤال والجواب، وهي تتميز في أسئلتها وأجوبتها بالإشارة إلى الزمان والمكان والأفراد والقضايا الحاصلة في المجتمع، ومنها ما يخدم الموضوع.

1-أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت814ه/1509م):"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب" وقد امتاز هذا الكتاب بكثرة ما احتوى عليه من نوازل، فكانت الأحداث التي عاشها الناس في المغرب الإسلامي مصطبغة بالصيغة المحلية، ومتأثرة بالمؤثرات الوقتية، وقد تضمن عدة أسئلة حول ظواهر السحر والكهانة والعرافة.

2-أبي القاسم التونسي البرزلي(ت841ه/1438م):"فتاوى البرزلي"، وقد أعطى لنا بعض الصور والمشاهد من خلال الأسئلة والأجوبة على واقع المغاربة وطبيعة معتقداتهم.

3-أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي(ت520ه/1126م):"فتاوى ابن رشد"، والذي تضمن في الغالب إجابات عن أسئلة في أحداث تتصل بحياة الناس، وكانت تلك الأسئلة مدعاة إلى إثارة علم ابن رشد.

جـ-كتب التاريخ:

وقد اعتمدت في بحثي هذا على جملة من كتب التاريخ العام أذكر أهمها:

1-عبد الرحمن ابن خلدون(ت808ه/1406م):" العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، حيث يتفق المؤرخون أن هذا الكتاب يعد المصدر الأول الذي يجب الإعتماد عليه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي، باعتباره موسوعة تاريخية شاملة، والذي أفادني في معظم مواضع البحث.

2-مؤلف مجهول: "مفاخر البربر": والذي عاش مؤلفه في القرن 06ه/12م، وكان وجه الإستفادة منه في تأثير المعتقدات الدينية في سكان بلاد البربر.

3-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلَّاوي(ت1315ه):"الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، وكانت أهميته كبيرة في هذا البحث، حيث أفادني في إبراز المعتقدات الدينية الناتجة عن الديانات التي تعاقبت على المغرب الإسلامي.

4-أبي القاسم عبد الكريم القشيري(ت465ه):"الرسالة القشيرية"، اعتمدت عليه في مظاهر الكرامات، وتأثيرها في نفوس الناس.

د-المعاجم والقواميس:

تناولت من خلال هذه المصادر جل المصطلحات التي تخص الموضوع منها ما يلي:

1-ابن منظور(ت711ه): لسان العرب.

2-أبي البقاء الحسيني الكفوي(ت1683ه): الكليات.

3-أبي القاسم جار الله الزمخشري(ت538ه): أساس البلاغة.

4-محمد علي التهانوني:كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم.

5-بطرس البستاني: محيط المحيط.

6-أبي الحسن أحمد بن زكريا(ت395ه): معجم مقاييس اللغة.

7-نشوان بن سعيد الحميري(ت573ه): شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم.

8-أبي الحسن علي ابن سيدة(ت458ه):المحكم والمحيط الأعظم.

9-أبي عبد الرحمن الفراهيدي(ت175ه):كتاب العين.

2- المراجع:

للمراجع أهمية كبيرة للباحث المبتدئ في الدراسات الجديدة التي لم تنل حظها من الدراسة، ومن أهم المراجع التي أفادتني ما يلي:

1-إبراهيم القادري بوتشيش:"المغرب والأندلس في عصر المرابطين، والذي من خلاله استطعت تنظيم بعض الأفكار المشتتة، وكذا كتابه "الإسلام السري في المغرب الإسلامي"، حيث خصص جزء من هذه الدراسة إلى توضيح حركة حاميم المتنبئ.

2-محمود إسماعيل:"الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري"، والذي استخدمته في إبراز بعض الأوضاع السائدة في بلاد المغرب.

الفصل الأول:

عوامل ظهور السحر في بلاد المغرب

أولاً: المعتقدات الدينية

1- الوثنية.

2- اليهودية

3 - علم الكتف.المسيحية

ثانياً: الأوضاع السياسية والإقتصادية

1- الأوضاع السياسية

2- الأوضاع الإقتصادية

ثالثاً: علاقة السحر بالمعجزة والكرامة

1- علاقة السحر بالمعجزة

2- علاقة السحر بالكرامة

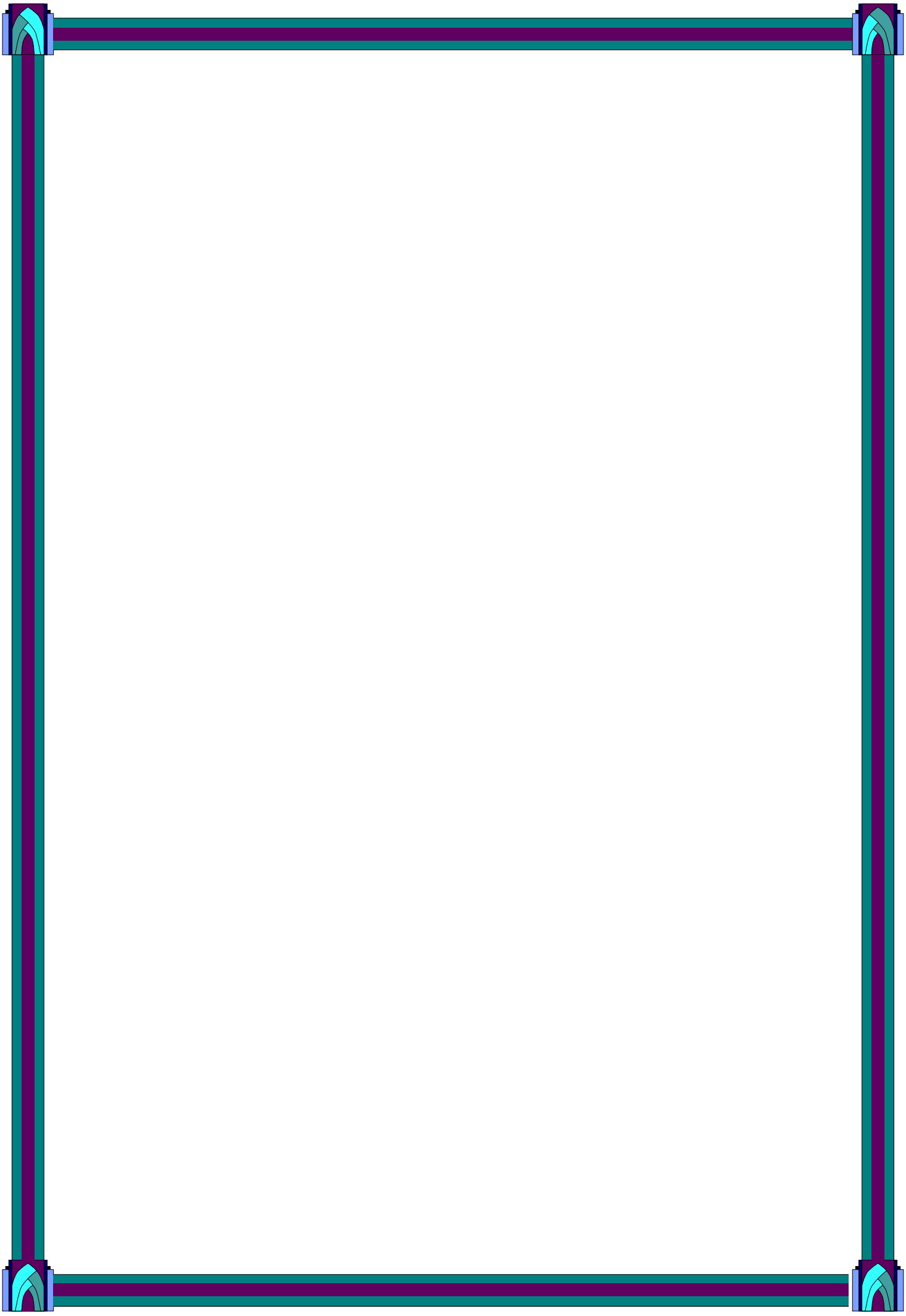

خضعت بلاد المغرب لمراحل سياسية واقتصادية وإجتماعية ودينية وثقافية مختلفة، أدت إلى تشكيل تركيبة إجتماعية مبنية على جملة من المعتقدات والعادات والتقاليد، أثرت في المنظومة الفكرية للإنسان المغربي ترجمة في سلوكاته وأعماله إيجابية كانت أم سلبية، ومن السلوكات السلبية نذكر ظاهرة السحر، التي كانت شائعة في بلاد المغرب منذ القدم، إشتركت في حضورها في الذهنية المغربية عدة عوامل سندرجها في هذا الفصل.

أولا– المعتقدات الدينية:

1– الوثنية:

كان البربر قبل الإسلام على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان، فمنهم من دان بالديانة الوثنية، ومنهم من دان باليهودية ومنهم من دان النصرانية إلى زمان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.[1]

وتشير جل المصادر التاريخية إلى اعتناق سكان بلاد المغرب الديانة الوثنية التي لاتزال بعض معتقداتها راسخة في أذهان بعض المغاربة، فكان منهم من يعبدون الأصنام والأوثان، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك[2]، فالإنسان البربري كانت له عقائده الوثنية، نتيجة تتبعه أديان الشعوب التي غزت بلاده، والتي أبقى على بعضها في العقائد الجديدة التي طرأت عليه[3]. فلا يمكن أن نرفض عن أثر الأفكار المحلية البربرية التي يرجع بعضها إلى الوثنية.[4]

ويذكر ابن خلدون أن بلاد السوس التي تقطنها قبيلة صنهاجة[5] أهل اللثام، كانوا على دين المجوسية، و لم يدينوا بالنصرانية.[6]

---

[1] – أبو العباس الناصري السلاوي (ت 1315هـ): الاستقصا لأخبار الدول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1954م، ج1، ص29.

[2] – مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب الأقصى، 2005م، ص196.□

[3] – عثمان الكعاك: البربر، جيل المنار، (د. م)، 1937م، ص38.□

[4] – سحر السيد عبد العزيز: المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسات شباب الجامعة، الأسكندرية، مصر، 1993م، ص55.□

[5] – قبيلة بربرية تضم قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم: لمتونة، كدالة، مسوفة، مسراتة، مداسة، بنو وارث، بنو دخير، بنو زياد، بنو موسى، بنو فشتال، وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوت الحصر. ينظر كتاب الناصري، ج2، ص3.□

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808هـ): المصدر السابق، ج6، ص142.□

ويؤكد لنا ذلك الناصري[1] في كتاب الإستقصا في قوله: " كان دين صنهاجة أهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب و لم يزالوا مستقرين بتلك المجالات الصحراوية حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس، وكانت الرياسة فيهم للمتونة، واستوسق لهم ملك ضخم عند دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس توارثه ملوك منهم بني ورتنطوا وطالت أعمارهم فيه إلى الثمانين ونحوها ودونوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الإسلام فدان به كثير منهم."

ومن ميزات البربر ميلهم القوي إلى التدين، حيث وجد الإنسان البربري ما يرضيه في الطقوس الدينية السحرية، التي تنطوي عليها الديانات الوثنية الإفريقية، التي كانت سائدة قبل أن يدخل الفينقيون والرومان آلهتهم إلى هذه البلاد، فكثير من الخصائص التي تميز الطقوس الوثنية التي تقوم على السحر في بلاد البربر قد وصلت إليهم بدون شك من إفريقيا السوداء، فقد كان البربر في القدم على اتصال بإفريقيا السوداء التي تمتد في جنوب جزيرة المغرب والتي انحصرت تدريجيا حتى السودان.[2]

وقد كان الأقدمون يستعملون السحر في أمور مختلفة، أهمها الطب، حيث كان كثير من الأمم السابقة يتداوون بالرقى والعزائم، ذلك أن الطب في أول أمره اختلط بالكهانة والسحر، فكان من ضمن مهام الكاهن معالجة المرضى بالرقي والسحر والعزائم.[3]

ومن الشائع أن السِّحر برز في العلاج من أجل مساعدة الإنسان على التخلص من الآثار السلبية لاستحواذ قوى شريرة عليه والعمل على طردها.[4]

ولا ينعكس السحر فقط على الطقوس والعقائد الدينية بل تعدى ذلك إلى كافة مظاهر الحياة المادية الأخرى وشمل صناعات الفخار والغزل والنسيج وغيره.[5]

---

[1] – الناصري: المصدر السابق، ص99.

[2] – موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، الإسكندرية، مصر، 1990م، ص83.

[3] – خليل عبد الكريم: الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، ط1، سينا للنشر، القاهرة، مصر، 1990م، ص29.

[4] – أسامة عدنان يحي: " علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة"، مجلة كان التاريخية (العراق)، ع12/ 2011م، ص90.

[5] – خزعل الماجدي: أديان ومعتقدات ماقبل التاريخ، ط1، دار الشروق، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص125.

ودون أن تفوتنا الإشارة إلى بقايا الديانة الوثنية التي كانت لا تزال تؤثر في المجتمع المغربي خلال القرون الأولى من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وخاصة منطقة غمارة[1]، التي اختلطت فيها تعاليم الدين الإسلامي للمعتقدات الشعبية الموروثة كما أن أعمال السحرية القديمة خلفت إرثا بالغ التعقيد، مما كوّن طبقة سحرية عريضة في تركيبة العقل المغربي.[2]

وهكذا نجد أن المعتقدات الوثنية البربرية القديمة تظهر بشيء من القوة خلال الفترة ما بين القرن الرابع والسابع ميلادي.[3]

2- اليهودية:

تجمع المصادر التاريخية على وجود اليهود في بلاد المغرب منذ القديم، فقد كان في افريقية في عصر الروماني جماعات مهمة من اليهود الذين كان أصلهم يرجع إلى عناصر فينيقية أو متأثرة بالفينيقيين أو ممن اعتنقوا الديانة اليهودية من سكان المدن، وعن طريق المدن وهجرة القبائل التي تزايدت مقدرتها على الحركة منذ نهاية العصور القديمة، تمكنت اليهودية من التوغل إلى داخل بلاد البربر، في الهضاب والجبال والصحراء، وخصوصا جراوة[4] بالأوراس ونفوسة[5]، وفي جنوب تونس، وبين كثير من قبائل الأطلس والقبائل التي تنتقل في جنوب المغرب الأقصى[6].

---

[1] – من بطون المصامدة من ولد غِمَارْ بن مصمود، وقيل غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود وقيل غمار بن اصاد بن مصمود، ويقول بعض العامة أنهم عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة، وهم شعوب وقبائل كثيرة وأشهر بطونهم بنو حميد ومثيوة وبنو فال وأغصاوة وبنو وزروال ومجكسة، وهم آخر مواطنهم يعتمرون رحاب الريف بساحل بحر الدر من عن يمين بصائط المغرب من لدن غساسة، فتكرر، فبادس، فتطاوين، فسبتة، فالقصر، حتى طنجة خمس مراحل أو أزيد. ينظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص181.

[2] – ابراهيم القادري بودشيش: الإسلام السري في المغرب العربي ، ط1، سينا للنشر، القاهرة، مصر، 1995م، ص24.

[3] – موريس لومبار: المرجع السابق، ص85.

[4] – يصفها البكري: " بأنها تقع في سهل من الأرض كان عليها صور مبني بالطوب وداخلها قصبة وحولها أرباض من جميع جهاتها وعيون ملحة وداخلها آبار عذبة وخمس حمامات، ينسب إحداها إلى عمر ابن العاص وجامع من خمس بلاطات على عمدة حجارة، وكان لها بابان شرقيان وثالث غربي ورابع جوفي. "، ص 132.

[5] – تنسب إلى نفوس ابن مدريس الأبتر جد البرابرة البتر وهم بطن واحد. ينظر ابن خلدون: المصدر السابق، ص149.

[6] – موريس لومبار: المرجع السابق، ص83.

ويمدنا الونشريسي بإشارات قيمة عن أهل الذمة وأوضاعهم في المجتمع المغربي، فيتضح من نوازل وفتاوي المعيار كثرة أعداد اليهود في المغرب، وأنهم كانوا ينعمون بالتسامح والمودة من جانب جيرانهم والمسلمين، وتشير احدى النوازل أن أحد المسلمين كان له جار يهودي تربى معه وكانت علاقة الأسرة المسلمة للجار اليهودي تتم بالصداقة والود وحسن الجوار.[1]

وقد دخلت اليهودية مع البربر المتهودين الذين جاؤوا من اليمن مع اليهود الذين هاجروا من الشام بعد سقوط بيت المقدس وتخريب المعبد وزوال دولتهم وتشتتهم فقطنوا في معظمهم الجبال.[2] فقد أخذ بعض البربر هذا الدين عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لعرب الشام.[3]

وبقي اليهود يتمتعون بحرية الإقامة والإنتقال في كل أقطار المغرب العربي عندما فتح العرب جميع أقطاره حيث باشر اليهود أعمال متعددة لا سيما التجارة التي نشطت خلال القرن الثالث هجري بين أقطار المغرب وإفريقية من جهة والأندلس من جهة أخرى، ففي عصر الفاطميين في بلاد المغرب تمتع اليهود بحرية واسعة في ممارستهم لأعمالهم العادية والضرورية، فقد اعتمد المعز الفاطمي إعتمادا كبيرا على آراء الحاخام اليهودي بلطيل بن شفاطي، الذي كان يقوم بتقديم معلومات فلكية وتنجمية للمعز حينما كانت قواته تحاصر منطقة أوريا في جنوب إيطاليا، فبشره بخصوص نجاح هذه القوات في أعمالها الحربية، فاعتمده مستشار خاص به.[4]

ويبدوا لنا من خلال ذلك أن السلطة في العهد الفاطمي في بلاد المغرب، كان لها الإهتمام الواسع بالتنجيم والفلك والأمور الغيبية، واعتقادهم أن للمنجمين اليهود القدرة الخارقة في كشف الغيب والتنبؤ بمستقبل البلاد.

لكن لم يحظى اليهود بالحرية والمكانة التي نالوها في عهد الفاطميين، فقد ضيق المرابطون عليهم نوعا ما بحجة أنهم أقاموا بأعداد كبيرة في منطقتين سجلماسة[5]، وأغمات[1] الواقعتين في جنوب المغرب الأقصى،

---

[1] – كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب الونشريسي، مركز الإسكندرية، مصر، 1996م، ص36.

[2] – عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص40.

[3] – الناصري: المصدر السابق، ج3، ص33.

[4] – على أحمد: "اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى"، مجلة آفاق التراث (بيروت)، ع17/ ماي 1997م، ص60.

[5] – تقع في جنوبي المغرب في طرفي بلاد السودان، في منقطع جبل درن، وأكثر قوت أهلها من التمر، وهم أغنى الناس وأكثرهم مالا، لأنها على طريق غانا التي هي معدن الذهب. ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص192.

كبوابتين لتجارة الذهب عبر الصحراء، فقام يوسف بن تاشفين[2]، بممارسة الضغط على اليهود في مراكش[3]، عاصمة المرابطين القريبة من أغمات، فكان لا يدخل أحد من اليهود إلى مراكش إلا نهارا ثم ينصرف في العشية، وليس دخولهم إياها إلا لأموره وما يختص به، ومتى عثر على أحد منهم بات، أستبيح ماله ودمه.[4]

أما بالنسبة لهم في عهد المرنيين فقد تمكن يهود بنو وقاصة المتواجدين في فاس[5]، من الوصول إلى البلاط المريني، ولا سيما في فترة حكم يوسف المريني، الذي كانوا يقضون أموره الخاصة به، ويتولون إدارة شؤون بيته، ويجالسونه في خلواته، فعظم جاههم وعلت مكانتهم عند العامة، أمثال خليفة بن وقاسة وأخوه إبراهيم وصهره موسى بن السبت وابن عمه خليفة الأصغر وغيرهم واستمروا على ذلك فترة من الزمن. لكن السلطان يوسف المريني استفاق وراجع بصيرته في شأنهم فقام بقتل هؤلاء جميعا، ماعدا خليفة الأصغر، الذي قتله بعد مدة، احتقارا لشأنه[6].

وقد تواجد اليهود بقلعة بني حماد، والتي كانت مركزا هاما للثقافة اليهودية في سنة (403 ه/ 1013م).[7]

---

[1] – هذه المدينة أهلها هم قبيلة هوارة من قبائل المغرب المتبربرين بالمجاورة وهم تجار يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وغيرها. ينظر: الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل، ليدن، 1866م، ص67.

[2] – هو يوسف بن تاشفين بن براهيم بن ورتانطق بن منصور بن نصارة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه، إسمها فاطمة بنت سر بن يحي بن وجاج بن ورتانطق، ولد سنة 400هـ ببلاد الصحراء وتوفي سنة 500هـ، كان بطلا شجاعا كريما سخيا مواظبا على الجهاد، واستخلفه في حكم الدولة المرابطية أبو بكر بن عمر، وقد ابلى بلاءا حسنا في حكمها. ينظر: على بن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق كارل يوحن توربنرغ، الرباط، المغرب، 1992م، ص157.

[3] – هي أعظم مدينة بالمغرب، وهي البر الأعظم بينها وبين البحر 10 أيام في وسط بلاد البربر هو أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة 470هـ، وكان موضوع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل، معناها بالبربرية أسرع المشي. ينظر: معجم البلدان: المصدر السابق، ج5، ص94.

[4] – على أحمد: المرجع السابق، ص68.

[5] – هي حاضرة المغرب وموضع العلم، إجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، أهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف، ولغته أفصح اللغات في هذا الإقليم، وكان المشايخ يدعوننها بغداد المغرب. ينظر: عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ): المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، (د، ن)، ج3، ص443.

[6] – الناصري: المصدر السابق، ص81.

[7] – رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص192.

وإذا أمطنا اللثام عن أثر الفكر اليهودي فنجد أنه لعب دورا بالغ الأهمية في العقيدة البرغواطية[1]، حيث كانت هذه المنطقة معقلا لليهود، وأن طريف بن شمعون[2] مؤسس هذه الدولة وواضع شرائعها يرجع إلى أصول يهودية، وقد حرص طريف على إبراز هذا الأصل اليهودي في إستخدامه إسم شمعون بدلا من الإسم العربي سمعان. ويتضح الأثر اليهودي في تحريم برغواطة أكل البيض، وتربية الشعور على شكل ضفائر، وهي من العادات المتبعة عند يهود بلونيا واليمن، وتقديس الديك، وهي عادة لا تزال رواسبها باقية في منطقة الشاوية ودكالة[3]

التي تدخل في نطاق برغواطة، حيث يحتفل أهل البادية في بعض مواسمهم بدفن عظام الديك.[4]

وقد كان اليهود يشيعون المنكرات ويحاولون نشر ذلك بين المسلمين لذلك عمل القضاة على تمييزهم في ملابسهم وبيوتهم إشارة إلى مخالفتهم للمسلمين في العقيدة، حتى لا يغتر بهم المسلمين فيقلدونهم فيما يقومون به من أعمال تخالف الشرع الحنيف.[5]

ورغم تمييز اليهود في ملابسهم وبيوتهم إلا أن ذلك لم يمنع إندماج اليهود مع المسلمين والتعامل معهم بحياتهم اليومية.

---

[1] – وتنتمي برغواطة لبلاد المصامدة يسكنها عدد كبير وجمع عظيم وهم مجوس أهل ضلالة وكفر، وهم أخلاط شتى اجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريف المتنبئ. ينظر: الناصري: المصدر السابق، ج2، ص17.□

[2] – ظهر صالح بن طريف البرغواطي في بلاد المغرب الأقصى بتامسنا مدعيا أنه هو، كان أبوه يكنى أبا صبيح، وكان من وقات ميسرة الخفير القائم بدعوة الصفرية، ولما انتهى أمر ميسرة بقي طريف قائما بأمر برغواطة بتامسنا، حيث تنبأ وشرع لهم ديانة الظلال، فأمره بأن يقرون بنبوته، ويصومون شهر رجب، ويأكلون شهر رمضان، وفرض عليهم عشر صلوات خمس بالليل وخمس بالنهار، وأن الأضحية واجبة على كل شخص في الحادي والعشرين من محرم إلى غير ذلك من الضلال ثم خرج إلى المشرق بعد أن ملكهم سبع وأربعون سنة ووعدهم بالرجوع، وأوصى بنيه بالتمسك بدينه، فتوارثوا ضلالته من بعده إلى أن جاءت دولة المرابطين، فمحو أثر بدعته. ينظر: الناصري، ج1، ص52.□

[3] – تبدأ ناحية دكالة من تنسيفت غربا، وتنتهي على شاطئ المحيط شمالا، وعند وادي العبيد جنوبا، ، وأم الربيع غربا. تمثل هذه الناحية مسيرة نحو أربعة أيام طولا ويومين عرضا. وهي آهلة جدا بالسكان لكنهم قباح جهال. ينظر: الوزان: افريقيا، ج1، ص147.□

[4] –سحر السيد عبد العزيز: المرجع السابق، ص57.□

[5] – محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، مصر، 1988م، ص120.□

3- المسيحية:

لم تتوفر المادة العلمية حول الديانة المسيحية في المغرب الإسلامي بالمقارنة مع الديانة اليهودية التي توفرت فيها المصادر التاريخية نوعا ما.

لقد اعتنق سكان بلاد البربر المسيحية قبل مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمئتين وخمسين سنة ذلك لأن المنطقة التي تقع فيها تونس وطرابلس كانت تحت سيطرة بعض أمراء بوي وصقلية، بينما كان ساحل القيصرية وموريتانيا خاضعا لملوك القوط وفي نفس الوقت أيضا هرب عدد كثير من الأمراء المسيحيين أمام هيجان القوط، وتركوا بلادهم ليسكنوا ضواحي قرطاج حيث كونوا لأنفسهم ممتلكات. وقد كان هؤلاء المسيحيين على مذهب الآريوسيين، ولما جاء العرب لفتح بلاد البربر وجدوا المسيحيين يملكون هذه المناطق فحاربوهم، وكان النصر حليف العرب، فهرب الآريون بعضهم إلى إيطاليا وبعضهم إلى إسبانيا.[1]

ولا يخفى علينا تأثير الإحتلال البيزنطي في سكان بلاد البربر، الذين تنصر بعضهم وأظهروا إجتهادهم في النصرانية.[2]

وقد تمتع النصارى بحرية الدينية مكنتهم من ممارسة شعائرهم بصفة عادية، ودليل ذلك إنتشار كنائسهم في مختلف مناطق المغرب الإسلامي.

ونذكر على سبيل المثال أن المسيحيين في عهد الحماديين الذين كانوا يسكنون قلعة بني حماد وبجاية، كانت لهم كنيسة في تلك القلعة سنة (507هـ/ 1114م)، وكانت العلاقات بين الناصر بن علناس والبابا غريغوار السابع حسنة، وذلك من خلال الرسائل المتبادلة بينهما، منها هاته الرسالة التي تبين ذلك: " من

[1] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص68.□

[2] – أبو عبيد البكري (ت 487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، (د، ت)، ص.....□

غريغوار الأسقف عبد عباد الله إلى الناصر ملك موريتانيا وناحية سطيف بإفريقيا عليكم السلام والبركة البابوية.

كتبت لنا نبالتكم لتطلب منا سيامة الكاهن سرفاند فأسقف حسب القوانين المسيحية، وأسرعنا في تلبية طلبكم بأنه كان عادلا، وفي نفس الوقت بعثتم لنا هدايا وأمرتم بفدي المسيحيين الذين كانوا أسرى عندكم وأوعدتمونا بفدي جميع الأسرى الذين يتواجدون فيما بعد ذلك، إحتراما لبطرس الطوباوي أمير الحواريين ومحبة لنا .....وعلينا أن نمارس الفضيلة في محبة الغير أنتم ونحن أكثر من الشعوب الأخرى لأننا نعبد بطرائق مختلفة نفس الله الواحد ....."[1]. وتعطي لنا هذه الرسالة مشهدا معبرا عن مدى تسامح المسلمين مع أهل الذمة.

وقد كانت عدة قرى في إفريقية عامرة بالكفر إلى ما بعد القرن الرابع 4 هـ/ 11م، وفي سنة 507-508هـ / 1114م، كانت للنصارى في قلعة بني حماد كنيسة مكرسة لمريم العذراء، كما أكتشف للقيروان قبرية القارئ فيرموس المتوفي سنة 439- 440هـ / 1048م، وقبرية السنيور بطرس المتوفي سنة 437-438هـ/ 1046م، وقد كتبت على كل واحد منها كتابة باللاتينية المحرفة ويدل على هذا الإكتشاف على استمرار الديانة المسيحية في مدينة عقبة بن نافع حتى قبيل غزوة بني هلال.[2]

وكما ذكر الحاج النميري[3] أن المغرب في عهد المريني ربط علاقات مع الدول المسيحية ون هذه العلاقات كانت مبنية على أسس متينة ونشيطة إلى حد ما، إنطبعت بطابع الود والصداقة والسبب في ذلك راجع إلى أبى عنان المريني نفسه الى ثقافته واخلاقه ودهائه وشجاعته النادرة وحسن سلوكه وإدراكه العميق وحاجيات الدول ومطامحها الآنية والعاجلة وإمكاناتها المختلفة وكذا توفره على القواة الهائلة في البر والبحر والجيوش الكثيرة والأسلحة الثقيلة والمتنوعة والإنتصارات العظيمة التي حققها في الداخل والخارج، إضافة إلى أن هذه الدول الأجنبية هي التي رغبت في إقامة هذه العلاقات حيث عقدت مع المغرب معاهدات صلح، وأبرمت معه اتفاقيات تجارية مختلفة(البرتغال، قشتالة، أرجوانة، إيطاليا، ميورقة، صقلية).

[1] -رشيد برويبة : المرجع السابق، ص195.

[2] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص376.

[3] – ابن الحاج النميري(ت 774هـ): فيض العباب وإفاضة وضاح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص99.

وأهم من هذا أن المغرب في هذا العصر كان مأوى للكثير من المهاجرين والأسرى والنصارى الذين شكلوا عنصرا من عناصر سكانه في فاس بصفة خاصة وغيرها من المدن، فقد كان منهم، من فضل الخدمة والإنضمام إلى الحاشية السلطانية، ومنهم من أتى ليحمل السلاح ويحارب بجانب الجيوش المغربية، ومنهم من اتخذ فاس مقرا له وسكن يزاول فيها معاملاته التجارية ومنهم من تقدم من أجل الإيذاية والجاسوسية، ومنهم من أتى في بعثة رسمية إستقدمتها السلطة القائمة ورغبت في إقامتها بعد إستئذان ملوك النصارى المعنيين بشؤونها.[1]

ويبدوا من خلال ما أورده الحسن الوزان أنه لا تزال بفاس بقايا من بعض الأعياد التي خلفها المسيحيون، ينطق فيها الناس بكلام لا يعرفون معناه، فمثلا في ليلة ميلاد المسيح. يحضرون طعاما خاصا بتلك الليلة، وفي اليوم الأول من تلك السنة يضع الأطفال أقنعة على وجوههم ويتوجهون إلى الأعيان ويطلبون منهم الفواكه، وهم ينشدون اغانيهم الصبيانية، وكذا نفس الحال في يوم القديس يوحنا، الذي يعبرون فيه عن احتفالهم بإشعال نيران كثيرة من التبن في جميع الأحياء.[2]

ويفيدنا ابن خلدون عن أحوال النصارى بقوله: " فالذي نشاهده بهذا العدد من أحوال تجار الأمم النصرانية الواردين. على المسلمين للمغرب في زفههم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف "[3]

ثانيا– الأوضاع السياسية والإقتصادية:

مرَّ المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية متباينة بين الإستقرار والإزدهار تارة، والإضطراب والضعف تارة أخرى، ولكن ما سنشير إليه هو تلك الإضطرابات والضغوط السياسية والإقتصادية والإجتماعية، التي تعبر عن تأثيرها المباشر بالفرد والمجتمع، مما دفع به للإنسياق وراء أساليب منحرفة من المعتقدات الغيبية.

[1] – المصدر نفسه، ص104.□

[2] – حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص258.□

[3] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 152.□

1- الأوضاع السياسية:

لا يمكننا التطرق إلى جل الأوضاع السياسية التي مر بها المغاربة في الفترة الوسيطية بل سنقتصر فقط على بعض الجوانب التي أثرت سلبا على الإنسان المغربي.

كان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذين إجتمعوا عليه مع الروم[1]، ولكن بقدوم الإسلام للمغرب أصبح للبربر الإستعداد النفسي الكافي لقبول الدين الجديد، وتبني أفكاره والذود عنها، و لم يلقى المسلمون نفس الشدة والتصلب التي وجدها غيرهم من الوافدين على المنطقة ولو بصورة نسبية، واستطاعوا أن يندمجوا في المجتمع البربري وينصهروا في قبائله، لا سيما بعد أن أدرك المغاربة كُنْه الدين الإسلامي والغاية التي جاء من أجلها المسلمون إلى المنطقة.[2] فسكان بلاد المغرب كانوا مسلمين على جادة واضحة.[3]

فقد كان للإسلام الدور الكبير الدور الكبير في إعادة غربلة الذهنية البربرية، وتنظيم الحياة الإجتماعية للمغاربة، لكن هذا لا يعني أن المغاربة تخلوا عن معتقداتهم الراسخة في أذهانهم التي ورثوها عن أجدادهم.

ومن المعلوم أن بلاد المغرب كغيرها من المناطق الإسلامية عانت من الفتن والإضطرابات السياسية، ففي العهد الأموى إنشغل الولاة بالتنافس في جمع الأموال، ويجمع كثير من المؤرخين على سوء معاملة الولاة الأمويين للبربر، وإرهاقهم بالمغارم والجبايات، واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب، حتى بعد اعتبناقهم الإسلام وقد حاول الخليفة عمر ابن عبد العزيز وضع حد لتسلط الولاة، واستعادة ثقة البربر في الحكومة الإسلامية فأمر بإسقاط الجزية على من أسلم من البربر ووقف في وجه جور الجباة واستبدادهم. لكن بعد وفاته عادت الخلافة الأموية إلى معاملتها السيئة لسكان بلاد البربر، واستبدادهم، وأبرز مثال ما فعله يزيد بن أبى مسلم حين قام بوشم حرسه من البربر، فوشم في يد الحارس اليمنى اسمه وفي اليد اليسرى بكلمة "حرس"، فأدى بذلك الفعل إلى شعور البربر بالإهانة.[4]

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 141.□

[2] - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص160.□

[3] - ابن جبير (ت 614هـ): رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص56.□

[4] - محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 1985م، ص283.□

وكان ابن الحبحاب قد ولى وما ولاه عمر بن عبيد الله المرادي، فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم وأراد أن يخمس البربر. وزعم أنهم فئ المسلمين، وذلك لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخنسون من لم يؤمن منهم و لم يجب إلى الإسلام.[1]

وقد تأسست عدة كيانات سياسية في بلاد المغرب مختلفة المذاهب ساهمت في تكوين العقلية المغربية بآراءها وأفكارها المختلفة.

فالأدارسة إتجهوا إلى المغرب الأقصى، والرستميون إلى المغرب الأوسط، والأغالبة إلى إفريقية، والفاطميون إلى المغرب الاوسط، ثم إلى إفريقية وجميع هذه الأحزاب والنحل قصدت المغرب الإسلامي، الذي عرف الإستعمار منذ أحقاب بعيدة لتجرب حظها فيها.[2]

ولا يخفى علينا ما قام به الشيعة[3] من دور هدام في الأحداث السياسية في نهاية العصر الرستمي ، الذي برزت فيه الطوائف والفرق الدينية ، وبتغلب أبي عبد الله الشيعي[4] على بني رستم، دخل تيهرت[5] دون قتال، فاستباحتها جيوشه سلبا ونهبا وتخريبا، وأمر أبو عبد الله بإحراق المكتبة الرستمية المسماة بالمعصومة ، كما أضرم النيران في تيهرت ، و لم ينتج عن سياسة البطش والتعصب التي جرى عليها الفاطميون إلا عن إندلاع ثورات الخوارج الإباضية[6]

[1] – أبو اسحاق الرقيق القيرواني(423هـ/ 1031م): تاريخ إفرقية في المغرب، تحقيق عبد العلي الزيدان وعزدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1990، ص73.

[2] – موريس لومبار: المرجع السابق، ص80.

[3] – هم الذين شايعوا سيدنا على رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته، وقد أخذت فرقة الشيعة بعد عصر الخلافة الراشدة تطور الفكرة التي قامت عليها بعل عوامل كثيرة، واخذت تتسع قواعدها وتستحضر مقومات مذهبية وإن كانت من غير بيئتها وعقيدتها حتى انتهى بهم الحال إلى أن عرفوا في المجال التاريخي بالفرق والملل والأهواء والنحل. ينظر صابر طعيمة: دراسات في الفرق، مكتبة المعارف، الرياض، ص10.

[4] – كان عالما أديبا شاعرا، وهو الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه، نائب عن عبيد الله مناصرا لمذهبه وداعيا إلى دعوته وزحف إلى القيروان ونازلها، وبها جمهور أجناد إفريقية، فدخلها واستولى على رقادة – دار ملك الأغالبة حينئذ– وعلى أعماد إفريقية. ينظر: أبي عبد الله بن الأبار (ت 658هـ/ 1260م)، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف ، القاهرة، مصر، 1985م، ج1، ص194.

[5] – تأسست على يد ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن رستم زعيم الإباضية وإمامهم تعقب على هذه المملكة بنوا ميمون وإخوته، ثم بنوا الأغلب وقد ملك بنو رستم هذه المدينة 130 سنة. ينظر : معجم البلدان، ج2، ص8.

[6] – محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص234.

وكانت حياة السكان المغرب الأوسط في عهد بني حماد في أغلب الأحيان مضطربة بسبب الحروب التي كانت تقع بين الحماديين وبنو هلال وزناتة داخل البلاد، وبين الإيطاليين والصقليين من جهة وبني حماد من جهة أخرى على ساحل البلاد.[1]

وقد عان المغرب الإسلامي قبل عهد المرابطين من الفوضى السياسية التي استشرت في جل نواحي البلاد والصراعات بين أمراء الدويلات التي تقاسمت حكم المغرب والضرائب المجحفة التي انتهجها هؤلاء الأمراء . هذا ما جعل المرابطين يوجهون أنظارهم نحو فتح المغرب.[2]

ولما جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغرب وفتحوا بلاد المصامدة وتادلا[3] وتامسنا[4] أخبر عبد الله بن ياسين بأن بساحلها قبائل برغواطة في عدد كثير وجمع عظيم أنهم مجوس أهل ضلالة وكفر، وأخبر بما تمسكوا من ديانتهم الضالة، وبلغة أن برغواطة هذه، تضم قبائل كثيرة من أجناس مختلفة، إجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريق المتنبي فتصدي المسلمون لمحاربتهم جهاد في سبيل الله، لأن الجهاد من أهم الدعائم التي قامت عليها الدولة المرابطية، فقد أنشأت عنه أربطة علىى سواحل المغرب الأقصى خصيص لقتال برغواطة كرباط سلا، ورباط شاكر.[5]

وكان عبد الله بن ياسين قد جمع فئة من أتباعه واعتزل بهم في جزيرة السنغال، حيث تبني لهم رباط يرابطون فيه للجهاد، ضد الكفار" ويفرغون فيها للعبادة، و لم يهدف من إصطلاحه إلى محاربة المساوئ المتصلة بحياة الأفراد الخاصة، بل أرجع ذلك إلى مساوئ الحكم كإرهاق الرعية بالضرائب القادحة.[6]

---

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص161.

[2] – ابراهيم القادري بودشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2000م، ص12.

[3] – هي إقليم غير شاسع يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه، كما ينتهي جنوباً من بلاد الأطلس، وشمالاً في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع وحاضرتها تادلاَ، بناها الأفارقة في منحدر الأطلس، سكانها كثيرون وأثرياء وفيها نحو مائتين دار لليهود، كلهم تجار أو صناع. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص176.

[4] – هي إقليم تابع لمملكة فاس يسكنها عدد من قبائل البربر وثار هذا الإقليم عام 323ه بتحريض داعية مبتدع بدعة حاميم بن من الله أقنع الشعب بأن لا يؤدي إلى ملوك فاس خراجاً ولا طاعةً لجورهم، بحيث لا يمضي وقت قصير حتى أصبحت بيده السلطات في هذا الإقليم، فقام بحرب ضد هؤلاء الملوك الذين كانوا آنذاك منهمكين في حرب زناتة، واضطروا إلى التفاوض معه على أن يتركوا له التسرب في تامسنا ويحتفظوا هم بملك فاس وتعهد كل فريق بأن لا يزعج الآخر. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص194.

[5] – المغرب في العصر الإسلامي.

[6] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968م، ص318.

2- الأوضاع الإقتصادية:

لا مجال للشك أن الأحداث الطبيعية في مجملها تنعكس على الوضع الإقتصادي، الذي يؤثر على الحالة المعيشية للأفراد، والمتتبع للأحداث والكوارث الطبيعية في المغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط، يتضح له أن بلاد المغرب لم تخلوا من أزمات الفياضانات والزلازل، والأعاصير والمجاعات والأوبئة، في فترات مختلفة من العصر الوسيط.

لم يكن الوضع الإقتصادي خلال فترة الولاة في الفتح الإسلامي، بحال جيدة جراء مكان يفعله الولاة من نهب وسرد لسكان بلاد المغرب فقد كان الخلفاء الأمويون يرسلون في طلب الجلود العسلية اللون من بلاد المغرب، فيقوم الولاة ببقر العديد من الأغنام من أجل الحصول على الجلود العسلية اللون. هذا ما تسبب في كارثة إقتصادية لسكان البربر المغلوب على أمرهم.[1]

لعل أن من أكبر الأزمات الأقتصادية في بلاد المغرب والتي لم يشهد لها مثيل، ما فعلته الكاهنة[2] ملكة الأوراس خلال فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من إحراق وتدمير شامل لبلاد المغرب، لما سمعت بقدوم حسان بن النعمان، ضانة أن العرب قصدوا المغرب لنهب وسلب خيراته.

وكان سقوط دولتي الخوارج على أيدي الفاطميين سنة (297هـ/ 909م)، واندلاع ثورات الخوارج من جديد ضد الحكم الفاطمي، قد أصاب الازدهار الإقتصادي الذي شهدته البلاد، وتفاقمت الأحوال وازدادت سوءاً لسياسة التعسف الاقتصادي التي اتبعها الفاطميون، فقد إنسابت جيوش أبي عبد الله الشيعي في تيهرت بعد فتحها، ولما سقطت سجلماسة نهب الفاطميون أهلها واستولوا على أموال بني مدرار ثم أضرموا فيها النيران وفرض عمال الفاطميين سياسة مالية جائرة على البلاد، التي فتحوها واشتطوا في فرض المغارم والجبايات فأثقلوا صفرية درعة[3] بالأعباء، كما لقي إباضية نفوسة عنتاً شديداً وأرغموا على دفع الأموال الباهضة والرشاوي لعمال القيروان، مما أدى ذلك لإندلاع ثورات الخوارج التي استنزفت الطرفين معا، ونتج عنها تخريب الطرقات وإحراق المزارع وتدمير المدن وكذا أرهاق الأرواح والدماء، مما تسبب في حدوث

[1] – محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص13.□

[2] – هي دهية بنت ثابتة بن نيفان بن بارو بن مصكسري بن أفراد بن وصيلا بن جراو وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم ولما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت إليها رياستهم. ملكت عليهم خمس وثلاثين سنة وعاشت مئة وسبع وعشرون سنة. ينظر ابن خلدون ج7، ص 12.□

[3] - مدينة صغيرة بالمغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، أكثر تجارها اليهود وأكثر ثمرها القصب اليابس. ينظر: معجم البلدان، ج2، 451.

المجاعات وانتشار الأوبئة التي أدت إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية[1]، وهذا يفسر لنا انعكاس الواقع السياسي على الواقع الإقتصادي. فكلما كان الأمن والإستقرار السياسي، ازدهر النشاط الإقتصادي.

ونخلص إلى أن الأوضاع السياسية والإقتصادية انعكست سلباً على حياة الإنسان المغربي، الذي ظل يبحث عن سبيل للخروج من مشاكله وأزماته، فسلك طريق السحر والشعوذة، مايعبر عن تفكيره السلبي، وبعده عن العقلانية.

[1] – محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص285

ثالثا: علاقة السحر بالمعجزة والكرامة

1- علاقة السحر بالمعجزة:

يورد ابن حيان[1] في تفسيره في قصة سيدنا موسى عليه السلام أن الله سلط المعجزة عن السحر فمحقته، وكانت بينة للناظرين والمعتبرين، حيث يقول تعالى:(**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا**)[2]. و لم يأت فسجدوا، كأنه جاءهم أمر وأزعجهم وأخذهم فصنع بهم ذلك وهو عبارة عن سرعة ما تأثروا بذلك الخارق العظيم، فلم يتمالكوا ا، وقعوا ساجدين.

وفي رأي ابن خلدون[3] أن الفرق بين المعجزة في السحر هو أن المعجزة قوة إلاهية تبعث على النفس ذلك التأثير، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك، أما السحر، فإن الساحر يفعل ذلك من لدن نفسه، وبقوته النفسانية، وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال، فبينهما الفرق في المعقولية والحققية والذات في نفس الأمر، فالمعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير، أما السحر فيوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب.

وكما جاء في تفسير الرازي أن المعجز يتميز عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته أما السحر فيمكن معارضته لقوله تعالى: (**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ**)[4]، والمعجزة لا تقع إلا من صادق والسحر لا يقع إلا من كاذب.[5]

والجدير بالملاحظة أنه رغم ما وصل المغاربة من قصص الأنبياء ومعجزاتهم، إلا أنه لم يفرقوا بين معجزات الأنبياء وأعمال السحرة، فالغالب في أذهانهم أن كل خارق للعادة معجزة.

---

[1] - محمد أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ): تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1993، ج6، ص240.

[2] - سورة طه، الآية 70.

[3] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص661.

[4] - سورة طه، الآية 58.

[5] - محمد عبد الغاني حسن: " السحر والسحرة"، مجلة الهلال (مصر)، ع1/ جانفي 1983م، ص39.

2- علاقة السحر بالكرامة:

جاء في المعجم الإسلامي[1] أن الكرامة هي "المواهب و الأفعال الخارقة للمعتاد والتي يظهرها الله تعالى على يد عبد صالح غير مدع للرسالة".

وتعتبر الكرامة أمر خارق للعادة يحدث على يد رجل صالح، فالخوارق ليست من الأمور الممكنة فقط، بل من الأمور الضرورية الملازمة لبعض الحالات العالية التي تكون عليها الروح الإنسانية. ولكن ليس صدور الخوارق الدليل القاطع على القرب من الله تعالى بالأعمال الصالحة، فإن المسألة مسألة قوة روحية.[2] فالكرامة ليست مجرد مشاهدات سحرية أو ظواهر خرافية بقدر ما هي عطاء صادق للواقع.[3]

وإضافة لذلك ما جاء في الرسالة القشيرية[4] أن " ظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقا في أحواله فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أن تعريف الله سبحانه حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مبطل من طريق الإستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الوليى[5]، بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة". وفرق الإمام أبو إسحاق الأسفرايني بين الكرامات والمعجزات في قوله:" للمعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي، كما أن العقل المحكم لما كان دليلا للعالم في كونه عالماً لم يوجد ممن لا يكون عالماً، وأن الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء".

---

[1] – أشرف طه أبو الذهب: المعجم الإسلامي، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2002م، ص 487.

[2] – محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن 20، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ت)، ج8، ص125.

[3] – إبراهيم القادري بودشيش: المغرب الأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م، ص140.

[4] – أبى القاسم عبد الكريم القيشري(ت 465هـ): الرسالة القشيرية تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ت)، ج2، ص520.

[5] – هو الذي يتولى ربه وخالقه بالطاعة، ويتولاه ربه بالحفظ والتأييد والنصرة والمعية الخاصة، والأولياء يتفاضلون فيما بينهم بحسب دينهم وتقواهم لا بأنسابهم وأحسابهم ولا بألوانهم ومظاهرهم، والولاية ليست محجورة على طائفة معينة ونسب معين وإنما هي عامة لكل من آمن واتقى. ينظر: فلاح بن اسماعيل " العلاقة بين التشيع والتصوف"، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، 1971م، ص 268.

وفي إطار الظاهرة الصوفية، ورد على لسان المقدسي[1]: " وجملة أمر فرق الصوفية أنهم لا يحملون على مذهب معلوم ولا عقيدة مفهومة لأنهم يدينون بالمخاطر والمخائيل وينتقلون من رأي إلى رأي، فمنهم من يقول بالحلول ومنهم من يقول بالإباحة والإهمال، ومنهم بالغدر ومعنى ذلك أن الكفار عندهم معذورون في كفرهم وجحودهم، لأنه لا يتجلى لهم، واحتجب دونهم، ومنهم من يقول أن الله لا يعذب أحد ولا يعبأ بخلقه، ومنهم من يقول بالتعطيل والإلحاد ومرجع أمرهم إلى الأكل والشرب والسماع واتباع الهوى ومتابعة النفس ".

ومن المثير للإنتباه ظهور بعض البدع الضالة في بلاد المغرب، لاسيما في المائة العاشرة وما بعدها انحصرت بعضها في اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم ممن يشار عليهم بالولاية والخصوصية، ويخصونه بالمحبة والتعظيم ويتمسكون بخدمته والتقرب إليه بحيث يرتسم في خيالهم أن هؤلاء المشايخ لهم منزلة عظيمة عند الله ويقولون نحن أتباع سيدي فلان، وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون إليه، معتقدين أن التقرب إليه نافع والإنحراف عنه ضار حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات معلومة، ومكان مخصوص على ما يسمى بالحضرة، فيكثر فيها الغناء والمزامير والرقص وخبط الأرجل على الأرض وإشعال النار على سبيل الكرامة.[2]

وعلى كل فقد احتل المتصوفون مكانة مرموقة في المجتمع المغربي، حيث التف حولهم السكان بمظاهر الإعزاز والتقدير، مما أخنق بعض العلماء وحاولوا الدس عند ولاة الأمر، غير أن محاولتهم لم تنجح في التقليل من شأن المتصوفين، وقد صاحب ذلك إيمان العامة بالخوارق والمعجزات وكان ذلك سلاحا استغله ابن تومرت وعبد المؤمن بن على أحسن استغلال.[3]

ولعل ما أثر على حياة المغاربة، أنشطة المتصوفة وحركتهم، فقد كان عامة المغاربة يطلقون عليهم أسماء عديدة منهم العباد، وينعتونهم بالصلاح والورع والإجتهاد في العبادة، وينطبق ذلك على الأولياء، وقد كانوا يخلطون بين الزهاد والمتصوف، ولا تمييز في نظرهم بين الزاهد[4] والمتصوف.[1]

---

[1] – المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د. ت)، ج5، ص148.

[2] – الناصري: المصدر السابق، ج1، ص64.

[3] – حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص520.

[4] – و الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا وفي حديث الزهري: سئل عن الزهد في الدنيا فقال: هو ألا يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره، أراد ألا يعجز ويقصر على مارزقه الله من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام. ينظر: لسان العرب، ج21، ص1876.

ويفيدنا ابن خلدون أن بعض المتصوفة خاضوا في نوع من السحر وهو علم أسرار الحروف وهذا النوع "هو المسمى بالسيمياء، نقل وضعه من طلسمات إليه في إصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، واستعمل هذا الإستعمال الخاص".[2]

ولربما أبرز مثال على ذلك ذي النون المصري، الذي كان لمعرفته ببعض فنون الكيمياء والصنعة أثرها على فكره، الذي اتسم بالغموض والإبهام، وكان كثير العكوف على النقوش المصرية القديمة المكتوبة على المعادن، وحل رموزها، ذلك أن مصر القديمة هي مهد علوم الكيمياء والسحر وعلوم الأسرار التي عرفها البابليون، فالظاهرة الفريدة التي نجدها لدى ذي النون المصري، أنه قرن التصوف بالعلوم السحرية، ذلك أن الكيمياء بقيت حتى عهود متأخرة تعتبر فرعا من السحر لأنها تسعى إلى تحويل الطبائع، وهذا ما يتطلب معرفة الأرواح الأرضية وإخراج لطائفها للإنتفاع بها، ولهذا كانوا يرون ضرورة اقتران الكيمياء بالتصوف والسحر.[3]

وإن تّمكن الظاهرة الصوفية من عقول المغاربة يكشف لنا عن طبيعة العقلية الإعتقادية المهيمنة على فئة كبيرة من المجتمع، هذا إلى جانب الحضور القوى لكرامة الولي.[4]

وإذا تأملنا في العوامل التي ساهمت بشكل كبير في تكوين العقلية المغربية نخلص على التحولات والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والمذهبية، التي عرفها الإنسان المغربي، منذ القدم، ولا سيما العصر الوسيط كانت مسؤولة على بلورة المنظومة الفكرية بالمغاربة، ما ينعكس على سلوكاتهم وتصرفاته.

---

[1] – محمد بركات البيلى: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة، القاهرة، مصر،1993م، ص90.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق، ص930.

[3] – سالم يفوت: ابن حزم والفكر الفلسفي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1986م، ص277.

[4] – مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين(6هـ/ 9هـ)، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص413.

الفصل التمهيدي:

ماهية السحر.

أولاً: تعريف السحر.

1- التعريف اللغوي.

2 – التعريف الإصطلاحي.

ثانياً: أنواع السحر.

ثالثاً: بيان حقيقة السحر.

رابعاً: بيان تحريم السحر

أولاً: تعريف السحر

أ/ التعريف اللغوي:

تعددت كلمة سحر في معاجم اللغة في عدة معان نلخصها فيما يلي:

السِّحْر بالكسر وسكون الحاء المهملة هو فعل يخفى سببه ويوهم قلب الشيء عن حقيقته، والسِّحْر في أصل اللغة الصرف حكاه الأزهري عن الفراء ويونس، وقال: وسمي السِّحْر سِحْراً لأنه صرف الشيء عن جهته، فكأن السَّاحر لما رأى الباطل حقا أي في صورة الحق، وخُيِّلَ الشيء على غير حقيقته، فقد سَحَر الشيء عن وجهه أي صرفه[1]، وقيل السِّحْر والتمويه يجريان مجرى واحد، وسَحِرَ سِحْراً وسَحَّرَهُ أي عمل له السِّحر وخدعه، ونقول فلان أعطاه السَحُور أو أطعمه السَحُور وعلَّله، وأسْحَر قام وسار في السَحَرْ.[2]

وقيل السِّحْر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن[3]، وفي حديث عائشة:" مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرِي ونَحْرِي" ويقصد بالسَحْر هنا الرِئَة، أي أنه مات صلى الله عليه وسلم وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سَحْرَهَا منه، ومنه حديث أبي جهل يوم بدر قال لعتبة بن ربيعة:" انتفخ سَحْرُك" أي رِئَتُك، ويقال ذلك للجبان[4]، ويقال لمن يُئِسَ منه: صريم سَحْر، ويقال:ذهب ماله صَرِيْمَ سَحْر أي باطلاً.[5]

وحسب معجم المحكم والمحيط الأعظم، فإن السِّحْرَ هو الأُخْذَةُ التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما يُرى، وليس كما تَرَى، والجمع أَسْحَارٌ وسُحُورٌ، ورجل سَاحِرٌ من قوم سَحَرَةٍ وسُحَّارٌ وقوم سَحَّارِين.[6]

---

[1]- محمد علي التوهامي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق عبد الحكيم السيالكوتي البنجابي(ت1067هـ)، ج2، ص935.

[2] – بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص399.

[3]- أبي الحسن أحمد بن زكريا(ت395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر،(د.ت)، ص138.

[4]- مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ط1، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1981م، ج3، ص420.

[5] – نشوان ابن سعيد الحميري(ت573هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسن عبد الله العمري ومطهر بن علي الأدياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر، دمشق، 1999م،ج1، ص2991.

[6]- أبي الحسن علي ابن سيدة(ت458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، ج3، ص182.

الفصل الثاني:

مظاهر السحر في بلاد المغرب الإسلامي •

أولاً: الممارسات السحرية.

1- الطالع والتنجيم.

2- خط الرمل.

3 – علم الكتف.

4 – القرعة.

ثانياً: تأثير ظاهرة السحر على المنظومة الإجتماعية.

لعل أبرز ما يمكننا التركيز عليه في هذا الفصل هو تلك الأساليب والممارسات السحرية التي اتبعها المغاربة، والتي جاءت معظمها في إطار المعتقدات الشعبية، والعادات والتقاليد الموروثة وما ينجر عن ذلك من تأثيرات على المنظومة الإجتماعية.

أولاً: الممارسات السحرية

1-الطالع والتنجيم:

اهتم المغاربة بالتنجيم[1]، واعتقدوا أن للمُنَجمين القدرة الخارقة على معرفة ما يصير إليه حال المرء خيره وشره، إلى حد أن بعض الأمراء والملوك بنوا سياستهم على قراءة الطالع[2] والتنجيم.[3]

وقد كان المنجمين في القدم يحاولون التنبؤ بكسوفات القمر، ويتمكنون من ذلك في بعض الأحيان، واعتقدوا بتأثير الكواكب في المصير البشري.[4]

وعلم النجوم علمان، أحدهما: علم أحكام النجوم، الذي هو علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل، وعلى كثير مما هو الآن موجود، ومما تقدم، والثاني: علم النجوم التعليمي، والذي يعد في العلوم وفي التعاليم فعلم أحكام النجوم إنما يعد في القوى والمهن التي بها يقدر على الإنذار بما سيكون مثل عبارة الرؤيا والزجر[5] والعرافة[6] وأشباه هذه القوى.[7]

---

[1]- نجم بمعنى طلع، وكل ما طلع وظهر فقد نجم والنجم في الأصل إسم لكل واحد من كواكب السما، وهو بالثريا أخص، وجعلوه علما لها، والعرب تزعم أن بين طلوعها وغروبها أمراضا ووباء وعاهات في الناس والإبل والثمار، وكانت العرب تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها فتقول: إذا طلع النجم حل عليك مالي. ينظر النهاية في غريب الأثر: المصدر السابق، ص903.

[2] - استطلع رأيه أي نظر ماهو وطالعتُ أي طالعت عليه، وطالعه يكتبه والطالع من السهام الذي يقع وراء الهدف، ويعدل بالمقرطس. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص2690.□

[3]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1979م، ص40.

[4]- جاك ريسلر: الحضارة العربية، ترجمة خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1993م، ص179. □

[5]- هو الدفع بقوة وهو قوة التصويت، ينظر أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ): الدار المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج9، ص291.

[6]- هي من عمل العراف المنجم الكاهن، وقيل العراف يخبر عن الماضي، والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل وقال الجاحظ العراف دون الكاهن. ينظر قطر المحيط: المصدر السابق، ص1342.

[7]- أبي ناصر الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق: علي أبو ملجم، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1996م، ص5857.

ويرى ابن حزم أن من يلجأ لعلم النجوم لمعرفة الغيب، فليس ذلك من العلم في شيء واعترضه على القضاء بالنجوم هو اعتراض شرعي إسلامي، فالتطير والتشاؤم، وقراءة النجوم هو منهي عنه بالقرآن الكريم والسنة النبوية لقوله صلى الله عليه وسلم:" كذب المنجمون ولو صدقوا"[1].

وإن تساءلنا عن مصدر علم التنجيم العربي، لكانت الإجابة أنه علم فارسي صرف، أدخل إلى العالم الإسلامي فن إعطاء النجوم معاني ورموزاً وتصويراً للظواهر الطبيعية الخارقة على أنها قوى شر أو خير تسعى إلى مكافأة الإنسان أو إنزال العقاب به، إضافة إلى أن الحكيم الفارسي زاردشت هو الذي أدخل إلى بلاد فارس الفكرة القائلة بأن للنجوم تأثيراً مباشراً في الخير والشر على الكون وأن لها دوراً فعالا، في حياة البشر جميعاً[2]. وسئل النووي عن إتيان المنجمين وتصديقهم فيما يقولون واجاب بتحريمه لدليل أحاديث كثيرة.[3]

وعن بعض الممارسات السحرية يذكر المؤرخون أن الملك الذي أسس مراكش توقع بفضل معطيات بعض المنجمين أنه سيخوض معارك كثيرة، فأنجز بواسطة السحر جميع هذه العوائق الطارئة في تلك القناة، حتى لا يعرف أي عدو من أين يأتي الماء إلى المدينة، فلا يستطيع أن يقطعه عنها[4].

وقد اشتغل بعض المغاربة بعلم الفلك والنجوم، وممن برع في ذلك الوزير مالك بن وهيبة وأذاع ابن تومرت بين أصحابه إطلاقه على علم النجوم وما يتصل بها، وقد ...المنصور الموحدي سنة 592ه في المسجد الجامع بإشبيلية برجاً عالياً ليكون مرصداً[5].

وكان سكان بلاد المغرب الأوسط يعتقدون بالطالع، فيدعوهم إلى التفاؤل أو التشاؤم من ذلك ماقاله الشاعر سعيد بن واشكل التيهرتي من [البحر الطويل]

هو الدهر والسياف والماء حاكم وطالعها المنحوس صمصامة الدهر

[1]- حسان محمد حسان: ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،(د.ت)، ص135.

[2]- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب- أثر الحضارة العربية في أوربيا- ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط8، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1993م، ص167.

[3]- الونشريسي: المصدر السابق، ج12، ص366. □

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص136.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص505.

وتميز علم التنجيم برفع مكانة صاحبه في نظر العامة إذ يستطيع إخبارهم بالحوادث قبل وقوعها، فيعظم أمره بينهم.[1]

وقد تمتع هذا العلم بخطوة كبيرة لدى العموم والأمراء، فقد كان يعتبر على وجه الخصوص أداة من أدوات التنبؤ المعقدة، أو الزايرجة[2]، وكان يلتجأ إليه حتى بعض الفقهاء، ومن ذلك مثلاً أن ابن الأبار كان يستعمل أبراج السماء في البلاط خلال القرن الثالث عشر13 الميلادي[3].

واعتبر علم الفلك من جملة العلوم التي تستهوي النفس البشرية، وتثير فيها حب الإستطلاع للغموض الذي يتغلغله، وما يربط بذلك وقد كان الحكام في العصور الوسطى لا يقدمون على خوض غمار الحروب أو حتى على الشروع في تأسيس مدينة دون الرجوع إلى آراء المنجمين لتعيين الأوقات التي تتحقق فيها الإنتصارات طبقاً لحسابات علم التنجيم[4].

ويطلعنا صاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة عن سلوك جوهر الصقلي لما قصد بناء القاهرة، حينما جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعاً لا يخرج عن نسلهم أبداً[5]، وعرفت أخت الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بمعرفتها في علم الفلك، وتفوقها في قراءة الطولع والنجوم[6].

وما يلفت الإنتباه أن التنجيم وقراءة الطالع لعبا دوراً كبيراً في الحياة السياسية والإجتماعية في المغرب الإسلامي، فقد تراجع زيادة الله الثالث الأغلبي عن محاربة الفاطميين عندما علم من المنجمين أن نهاية ملكة تكون على أيديهم[7].

ونشير إلى أنه ظهر في العصر المريني عدد من العلماء الذين اهتموا بالدراسة والبحث في علم الفلك، ومنهم ابن البناء العددي(ت723هـ)، الذي نظر في أحكام النجوم وعلم الهيئة، ومؤلفاته في مجالي الفلك والجغرافيا تشهد بتفرده في هذين العلمين، ومن هذه المؤلفات:" تنبيه الفهوم على مدارك العلوم"، وله رسالة في

---

[1]- الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص311.

[2]- هي مخاطبة الأرواح ويعتبرونها جزءاً من العلوم الطبيعية. وهناك من السحرة من يعتمدها. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص264.□

[3]- روبار برشفيك، ص388. □

[4]- حمدي عبد المنعم حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص409.

[5]- جمال الدين بن تغرى بردي الأتابكي(ت874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج4، ص43. □

[6]- محمود إسماعبيل: المرجع السابق، ص291.

[7]- القاضي أبي حنيفة النعمان(ت363هـ): افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2005م، ص82.

الرد على مسائل نجومية فقهية مختلفة، ومنهاج الطلاب في تعديل الكواكب، وله كلام في عمل الطلسمات، والزجر والقال والكهانة وخط الرمل[1].

2- خط الرمل:

لقد أبرز المازوني مكانة العلماء في المجتمع الإسلامي مشيراً إلى أنهم صلاح الأمة بعد صلاح الحكام كما عالج المازوني مواقف علماء السلف من الفرق العقدية كالمعتزلة والخوارج والأشاعرة، كما تطرق إلى البدعة في العقيدة والسلوك ومواقف العلماء منها كالسبحة والميزان وضرب خط الرمل، وإنكار علماء مصر عصر المرابطين على الغزالي إباحته لبعض هذه المستحدثات في حياة المسلمين وعلى رأس المستنكرين، كما سجل المازوني في نوازله ابن العربي المعافري[2].

أما العرافين فيصفهم الوزان أنهم كثيرون وهم على ثلاثة أصناف، يتألف الصنف الأول من الذين يتعاطون خط الرمل، فيرسمون أشكالاً ويؤدي لهم عن كل رسم بحسب الموارد المتوفرة للشخص وفقاً للعادة، ويضم الصنف الثاني العرافين الذين يجعلون الماء في قدر لماع ويرمون فيه قطرة زيت فيصير شفافاً، ويزعم العرافون أنهم يرون فيه كما يرون في المرآة جماعة من الشياطين القادمين بعضهم خلف بعض كأنهم كتائب جيش تعسكر وتضرب الخيام ويسلك بعض هؤلاء الشياطين طريق البحر وبعضهم طريق البر، وعندما يرى العراف أنهم قد استراحوا يطلب منهم ما يود معرفته، فيجيبونه بإشارات اليد أو العين[3]، وهذا ما يعبر عن سذاجة وحماقة هؤلاء البشر الذين يؤمنون بكلام العرافين.

وقد أفادنا المراكشي إلى أن ابن تومرت أوجد عصره في علم خط الرمل، مع أنه وقع بالمشرق على ملامح من عمل المنجمين وجفور من بعض قرائن خلفاء بني العباس، أوصلهم إلى ذلك كله فرط إعتنائه بهذا الشأن وما كان يحدث به نفسه[4].

ولا تخلو فتاوى الونشريسي من الأمور الغيبية مذكورة في جوانب إجتماعية كثيرة، حيث سئل عن النظر في الأكتاف والغبار والرصاص الذائب، وأجاب بأنه لا يحل ذلك لأحد[1]، ومن خلال ذلك يتضح لنا جلياً ممارسة المغاربة لهاته الأعمال السحرية المتمثلة في علم الكتف وخط الرمل والرصاص الذائب.

---

[1]- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم، الكويت، 1987م، ص347.

[2]- محمد الأمين بلغيث: الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة دكتوراه دولة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، ج1، ص263.

[3]- الحسن الوزان، ج1، ص263. □

[4]- عبد الواحد المراكشي(ت647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963م، ج3، ص247.

وفي سؤال آخر للونشريسي عمن يشتغل بضرب الخط وغيره من أنواع الكهانة، ومن يكتب للمحبة والبغض وعقد العروس وشبه ذلك، هل فعله منكر يجب تغييره أم لا؟ فأجاب: أما المشتغل بالكهانة وضرب الخط وغيره فذلك من أكبر المناكر وقد جاء في الكهانة كلها أحاديث كثيرة بالنهي عنها وعن سؤاله وتصديقه، قال العلماء في الحديث الوارد:" فإن نبيئا كان يخط إن لا يقضي إباحة أخط لنا. وأما كتبه للبغضة ولربط العروس فهو من السحر المتفق على تحريمه، واختلف في تكفير فاعله...إلخ".[2]

وقد أطال في الإجابة على هذا السؤال وتوحي لنا هذه الإطالة بأهمية موضوع السؤال عند العلماء من أجل التحذير عن الوقوع فيها.

ويزودنا الإدريسي بخبر عن أهل أزقار[3] بالمغرب الأقصى أنهم أعلم الناس بعلم الخط، وذلك أن الرجل منهم كبيرهم وصغيرهم إذا ضاع له شيء ما خط له في الرمل خطاً فيعلم بذلك الموضع المطلوب، فيسير من يجد متاعه كما أبصره في خطه، وكذلك في حال سرقة الرجل لمتاع صاحبه ودفنه في أرض ما، فيخط الرجل الذي فقد متاعه ويقصد موضع متاعه، ويخط بجانبه خطاً ثانياً ليعلم مكانه، ويستخرجه ويأخذه ويجمع أشياخ القبيلة فيخطون له خطاً ليعلموا من الضحية من هو الفاعل وقد اخبر بعض المخبرين أنه رجلاً من هذه القبيلة في مدينة سجلماسة وقد خبيت له خبية بحيث لا يعرف فَخُطَ لها خطاً وقصد موضعها، فاستخرجها وأعيد عليه العمل بذلك ثلاث مرات فاستخرجها في الثانية والثالثة كما فعل في المرة الأولى[4].

وإذا بحثنا في نوازل البرزلي فنجد فتوى حول خط الرمل والقرعة وما يحتجون به من الآيات والأحاديث، فأجابه المفتي بعدم جواز ذلك لأنه لا أحد باستطاعته كشف الغيب إلا من أخبر عن الله تعالى من نبي أو

---

[1]- أبي العباس بن يحي الونشريسي(ت914هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، 1981م، ج2، ص182.

[2]- أبي العباس بن يحي الونشريسي، المصدر نفسه، ص55-57.□

[3]- هذا الإقليم عبارة عن سهل أرضه جيدة، لذلك سكنته أقوام كثيرة وهو الذي يحد جبال غمارة ومدينة فاس بالطعام والماشية والخيل، وقد اعتاد الملك أن يقيم به طوال فصل الشتاء والربيع لأنه بلد جميل وصحي وتوجد فيه كمية كبيرة من الغزلان والأرانب، إلا أن الغابات في قليلة. ينظر: الحسن بن محمد الفاسي الوزان(ت939ه): وصف إفريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1983م، ج1، ص301.

[4]- أبو عبد الله محمد الإدريسي(ت560ه/1164م):نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق مجموعة من المحققين، مكتبة الثقافة الدينية،مصر، (د.ت)، ص37.

رسول، وختم فتواه بتحذير السائل من الشك في هذا، أو أن يخلط عليه بعض من يدعي علم ذلكن إضافة لذلك كلامه حول الفرق بين السحر والكرامة حيث وضح أن الكرامة لا تكون إلا على يد ساحر ومفتري[1].

3- علم الكتف:

وفي ظل إنتشار ظاهرة السحر يفيدنا العقباني التلمساني بقوله:" وقد شاهدناهم في كثير من الأمصار والأقطار...وهي عندهم صناعة معلومة لها مراتب من الحيل والتحيل والمدكات وإيهام العقول تنقسم على وجوه كثيرة من بعضها الطب وأنواع العلاج وبيع الحروز وادعاء القيام بالسحر وأشياء من نحو ذلك كثيرة يتوصلون بها إلى أكل الأموال وارتكاب الفواحش ويهرجون بكثير من ذلك على الخواص والعوام ويدخلون الوهم والعلل على صحاح الجسام[2].

ومن هذه الممارسات السحرية نذكر علم الكتف الذي جاء تعريفه في كشف الظنون بأنه:" علم باحث عن الخطوط والأشكال التي ترى في أكتاف الضأن والمعز إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر من الحروب والخصب والجدب وقلما يستدل بها على الأحوال الجزئية لإنسان معين يأخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمه ويلقى على الأرض أولاً ثم ينظر فيهن فيستدل بأحواله من الصفاء والكدر والحمرة والحضرة على الأحوال الجارية في العالم، وينسب أطرافه الأربعة إلى جهات العالم ويحكم بذلك كل صقع منها بأحوال متعلقة بها"[3].

ومن أهم القبائل في بلاد المغرب التي برعت بعلم الكتف، قبائل زناتة فقد أطلعنا الإدريسي بذلك في قوله:" وكان لقبائل زناتة معرفة بارعة وحدق وكياسة ويد جيدة في علم الكتف ولا يدري أن أحداً من الأمم أعلم من زناتة بعلم الكتف"[4].

4- القرعة:

---

[1]- أبي القاسم التونسي البرزلي(ت841هـ): فتاوى البرزلي- جامع مسائل الأحكام- تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنانن 2002م، ج6، ص217. □

[2]- أبي عبد الله العقباني التلمساني: تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، ص86.

[3]- مصطفى حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د.ت)، ج1، ص141.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص88. □

وعن ظاهرة القرعة يروي لنا البكري عن سكان مدينة مليلة أنهم يقترعون على من يدخل عندهم من التجار فمن أصابته قرعة الرجل كان هو من يتكلف بضيافته والإعتناء به، فيحميه عمن يريد ظلمه ويؤخذ عنه الأجر وكذلك الهدية، من نزوله عنده[1]. ونستشف من هذه الرواية أن غرض سكان المنطقة مادي وهو حاجتهم للمال الذي تمثل في الأجر والهدية.

ويطلعنا ابن رشد عنفتوى جاءت في نوازله عن النظر في خط الرمل وأخذ الأجرة عليه وكانت الإجابة عن السؤال بعدم جواز الإشتغال بضرب القرعة في التراب وأنها كانت من حبائل الشيطان، وأخذ الأجرة عليها حرام[2].

وإضافة لما سبق من أنواع الممارسات والأساليب السحرية الطاغية في المجتمع المغربي ما ذكره البكري من أعاجيب منطقة غمارة أن رجل يحمل معه وعاء مملوء برؤوس الحيوانات وأنيابها قد نظمها في حبل واتخذها كالسبحة، فإذا سأله أحد عن شيء يريد معرفته عن حاله وضع تلك السبحة في رقبته وحركها قيلاً، ثم انتزعها وجعل يشمها قطعة قطعة إلى أن يمسك في يده ما أمسك منها ثم أخبره ما سأله عما يحيط به من مرض أو موت أو ربح أو خسران.[3]

وكذا ما روي له أن رجلاً قصير القامة مصفر اللون يكرمه أهل المنطقة لأنه يستنبط المياه في المواضع الجافة، ويخبر بقرب الماء وبعده وذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع.[4]

وهناك من السحرة من يعرفون بالبعاجين يأتون من الأعمال السحرية ما تندهش له العقول، ويقال أنهم يشيرون إلى الكساء أو الجلد بأيديهم من بعيد فيتخرق، ويشيرون في الهواء إلى بطون الغنم فتبنج- أي تنشق- وقد كان الواحد منهم إلى عصر ابن خلدون يعرف باسم البعاج لأن أكثر ما يرتكبونه من أعمال السحر كان بعج الأنعام ويفعلون ذلك لإرهابها، فيعطوهم من فضلها ويفعلون ذلك سراً لا علانيةً خوفاً على أنفسهم من مؤاخذة لهم ومعاقبتهم.[5]

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ص88. □

[2]- أبي الوليد بن رشد المالكي(ت520هـ): فتاوى ابن رشد، تحقيق، مختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،19887م، ص249-261. □

[3]-البكري: المصدر السابق، ص101.

[4]- نفسه، ص102. □

[5]- محمد عبد الغني حسن، ص37. □

وكان بعض الناس في فاس يدعون بالكنزيين، يبحثون عن الكنوز المدفونة في أسس الأبنية الأثرية القديمة، فكانوا يستغيثون بالسحرة من أجل اكتشاف أماكن تلك الكنوز.[1]

ومما نعجب له ماذكره بن الوردي[2] أن مخ البغل إذا طعم منه الإنسان تناقص عقله وفهمه وحصل له التوهم والنسيان والسهو.

وإذا رجعنا إلى فتاوى البرزلي حول الظاهرة الغيبية، فنخلص إلى أنها أعطت لنا صورة وافية عما كان متداول في المجتمع المغربي في العصر الوسيط من الأعمال والممارسات السحرية والخرافية في بلاد المغرب.

ثانياً– تأثير ظاهرة السحر على المنظومة الإجتماعية:

[1]– الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص274. □

[2]– سراج الدين بن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر 1904م، ص143.

فكر أسلاف المغاربة في عواقب الإختلافات العقائدية على المجتمع المغربي، فبذلوا جهوداً في تطهير المغرب من الإختلافات العقائدية، سواءاً داخل الإطار الإسلامي، كوضع حد لنشاطات بعض الفرق والمذاهب، أو كان هذا الإختلاف خارجاً عن الإسلام كالبرغواطية التي كافحها المرابطون وعلى رأسهم يوسف ابن تاشفين، وكذلك الموحدون الذين ضيقوا الخناق على اليهود الذين أسلموا.[1]

ومن الشواهد الدالة على شيوع الخرافات والشعوذة، أن أكثر ما ألف من كتب الحيل،كان مليئاً بالعجائب والغرائب، كما هو الحال في مؤلف ابن الرزاز" الباهر في عجائب الحيل"، وبالرغم مما يحويه كتاب " الحيوان الكبرى"، للدميري من معلومات طبية، فإنه يطفح بالخرافات والأوهام.[2]

ولا سبيل لإنكار تأثيرات الظاهرة السحرية في الميدان الإجتماعي الذي يقوم على أساس القيم الإجتماعية والقواعد الأخلاقية ومن ثم أوجزنا بعض المشاهد التي تصور له الظاهرة السحرية على عقول المغاربة في الفترة الوسيطية.

وخلال الفتح الإسلامي وأثناء حملة حسان بن النعمان، الذي دلوه على امرأة بجبل الأوراس يقال له الكاهنة، والتي عرفت باحترافها للسحر والكهانة، وجميع من بإفريقية منها خائفون، إن قتلها يئس البربر والروم بعدها، وملك المغرب.[3] وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على تمكن الكاهنة من سيطرتها على أذهان سكان المغرب وخلقها مكانة كبيرة لنفسها في قلوبهم، وعن تمسك البربر بمعتقداتهم القديمة.

ومن أشهر الحركات التي أفرزت مجموعة من المعتقدات الشعبية في المجتمع المغربي حركة صالح بن طريف البرغواطي الذي ظهر في بلاد المغرب الأقصى بتامسنا، مدعياً النيوة، والذي تنبأ وشرع لهم الشرائع وديانة الظلام، فأمرهم أن يقرون بنبوته، ويصومون شهر رجب ويأكلون شهر رمضان، وفرض عليهم عشر صلوات خمساً بالليل وخمساً بالنهار، وأن الأضحية واجبة على كل شخص، في الحادي والعشرين من محرم، إلى غير ذلك من الظلال،

ثم خرج إلى المشرق بعد أن ملكهم سبعاً وأربعين، ووعدهم بالرجوع، وأوصى نبيه بالتمسك بدينه فتوارثوا ظلالته من بعده إلى أن جاءت دولة المرابطين، فمحو أثر بدعتهم.[4]

وما مكنه من سيطرته على عقول أهل برغواطة هو إظهاره للإسلام والنسك فقد كان في برغواطة قوم من زناتة جهالاً إستفز عقولهم، فولوه على أنفسهم وكانوا على علم ودراية بالسحر، مما أخذوه عن أسلافهم،

---

[1]- محمد الطنجي: "عقيدة الإسلام والمجتمع المغربي"، مجلة دعوة الحق(المغرب)، ع1/ نوفمبر 1966م، ص03. □

[2]- محمود إسماعيل: سيسيولوجيا الفكر الإسلامي- طور الإنهيار- سينا للنشر، بيروت، لبنان، 2000م، ص38. □

[3]- أبي إسحاق الرقيق القيرواني(ت423ه): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1990م، ص23. □

[4]- الناصري: المصدر السابق، ص52. □

ومن القبائل الداخلة في ديانة برغواطة، جراوة، وزغاوة، زواغة، البرانس، بنو أبي قاض، نجطة، بنو واعم، مطغرة، بنويوزغ، بنو دمر، مطماطة، بنو واكست، بنو تاسليت، ومن تدين لهم من المسلمين نذكر زناتة الجبال، بنو تليت، بنو وانسيت، بنو تانيت.[1]

إضافة إلى حركة حاميم[2] الملقب بالمفتري في غمارة وبالضبط في مجكسة التي بها جبل حاميم المنسوب إليه، وهو على مقربة من تطوان، وتبعه خلق كثير أقروا بنبوته، فقد جعل قرآناً بلسانهم، وقد أنشد أبو العباس المذحجي يهجو حاميم ويذكر رزقه.

وقالوا إفتراء أ ن حاميم مرسل

إليهم بدين واضح الحق باهر

فقلت كذبتم بدد الله شملكم

فهاهو إلا عاهرٌ وابن عـــــــاهر

فإن كان حاميم رســــــولاً فإنني

فإرســــــــــــــال حاميم لأن كافرُ

وقتل حاميم المفتري بمصمودة الساحل بأحواز طنجة سنة315هـ.[3] واشتهرت عمته وأخته بانتحال السحر، حيث كانت تكتب أخته دبو يستغيثون بها في الحروب والقحوط، فقد كان أكثر منتحلي السحر من النساء.[4]

وعرف في جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة بابن كسية، فكان لأهل منطقته يسمعون كلامه ولا يعصونه، وإذا عصاه أو خالفه حول كساه التي يلتحف بها، فتصيب ذلك الرجل عاهة في الحين، ولبنيه وعقبه في تلك الناحية منزلة ومزية وحظ على من سواهم.[5]

ومن بين النساء اللاتي عرفن بالسحر والكهانة زينب النفزاوية في مدينة أغمات، وقد شاع ذكرها وامرها في قبائل المصامدة وغيرها، وكان لها اخبار مستطرفة غريبة كمثل أخبار الكهنة، وقد تزوجها أبي بكر بن عمر مثلما تكهنت بأنها ستتزوج من يحكم المغرب كله، وقد وعدته بمال كثير تخرجه له، وكما تقول

---

[1]- مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق،(د.ت)، ص452.

[2]- هو حاميم بن من الله بن جرير بن عمر بن رحفو بن أزوال بن مجكسة، يكنى أبي محمد، وأبوه أبو خلف تنبأ سنة 313هـ بديانته بجبل حاميم، وقتل في حروب مصمودة بأحواز طنجة سنة 315هـ، وكان لإبنه عيسى من بعده قدر جليل في غمارة.

[3]- البكري : المصدر السابق، ص100.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 288.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص101.

الرواية بأنها أدخلته في دار تحت الأرض معصب العينين، ثم أزالت العصابة عنه فرأى بيوتاص فيها ذهب كثير وفضة وجواهر، فعجب مما رآه وكانت رؤيته له بضوء الشمع، وأخرجته معصب العينين كما أدخلته.[1]

وعن صفة أهل أغمات فيذكر لسان الدين ابن الخطيب أنهم أناس ينسب إليهم صفة الحماقة والغفلة والسذاجة وتؤلف عن اخبارهم النوادر والحكايات.[2]

وفي ظل الصراعات السائدة في المجتمع المغربي لم يتمكن الفرد المغاربي من تحديد هويته وفرض شخصيته، وعدم الإستقرار السياسي في بلاد المغرب، كان يحتم على المغاربة إنتظار توازنات جديدة واحتمال قيام حركات تهدف إلى تحديد هويتها.[3]

□

[1]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج4، ص18. □

[2]- لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ): مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1983م، ص131. □

[3]- ابراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري بالمغرب الإسلامي، ص22. □

خـــــــــاتـــــــــــمة

إن دراستي لموضوع السحر في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط قادتني في نهاية هذه الدراسة إلى جملة من الإستنتاجات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- لابد وأن نشير إلى أن المجتمع المغربي عاش فترة طويلة من التحولات السياسية والإقتصادية والدينية، أثرت في ذهنيته وطريقة تفكيره، جعلته يتقبل كل ماهو جديد ومستحدث .ولكن في نفس الوقت بقي متمسك بثقافات الماضي ومتأثراً بموروث أجداده.

- وما خلصت إليه من هذا البحث أن ظاهرة السحر في بلاد المغرب الإسلامي، هي ظاهرة مكتسبة، فالمغرب عبر مراحله التاريخية لم يكن منعزلاً عن مختلف الأجناس والديانات والمذاهب، وكان الفرد المغربي في كل الفترات في حالة تأثر بالآخر، واستقبال ما يمليه عليه الغير.

- وبالرغم من أن الإسلام عمل على تنظيم الحياة الإجتماعية للمغاربة وتهذيب الذهنية المغربية، إلا أن الإنسان المغربي لم يتخل عن بعض رواسب معتقدات الديانات المتعاقبة عن بلاد المغرب. فقد كان للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا بالغ الأهمية والأثر في تاريخ بلاد المغرب، لما حمله معه هذا الفتح من تحولات وتغيرات جذرية شملت كل مناحي الحياة.

- وإن الأوضاع السيئة التي عانى منها المغاربة في فترات متفاوتة، على الصعيد السياسي والإقتصادي بداية من حكم الولاة، الذين مارسوا سياسة مجحفة في حق سكان بلاد المغرب، وما أقدموا عليه من معاملاتهم السيئة لسكان المنطقة، ماأثر على الجانب الإقتصادي سلباً، وما لحق البلاد من كوارث طبيعية كالزلازل والأعاصير، وبشرية كالمجاعات والأمراض والأوبئة. هذه الإضطرابات الحياتية أثرت على سلوكه، فاستعان بالسحرة والدجالين، الذين يرى فيهم القوة والمقدرة على حمله إلى بر الأمان، وتغلبه على ضغوطات العيش، واتبع طريق الممارسات السحرية، التي لم يفرق بينها وبين المعجزات والكرامات، و لم يجد منتحلي النبوة والسحرة صعوبة في خداع المغاربة والسيطرة على عقولهم لسذاجتهم التي عرفوا بها وسرعة تصديقهم لكل ما هو خارق للعادة.

وفي الختام أرجوا أن يكون هذا الموضوع، الذي أثار استغراب البعض نقطة بداية لدراسات أخرى أكثر عمق وتفصيل، خاصة وأن هذه المواضيع بقيت في حكم المجهول المسكوت عنه.

والله ولي التوفيق

□

الخاتمـــــــــــة

خـــــــــاتـــــــــــمة

إن دراستي لموضوع السحر في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط قادتني في نهاية هذه الدراسة إلى جملة من الإستنتاجات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- لابد وأن نشير إلى أن المجتمع المغربي عاش فترة طويلة من التحولات السياسية والإقتصادية والدينية أثرت في ذهنيته وطريقة تفكيره، جعلته يتقبل كل ماهو جديد ومستحدث .ولكن في نفس الوقت بقي متمسك بثقافات الماضي ومتأثراً بموروث أجداده.

- وما خلصت إليه من هذا البحث أن ظاهرة السحر في بلاد المغرب الإسلامي، هي ظاهرة مكتسبة، فالمغرب عبر مراحله التاريخية لم يكن منعزلاً عن مختلف الأجناس والديانات، وكان الفرد المغربي في كل الفترات في حالة تأثر بالآخر، واستقبال ما يمليه عليه الغير.

- وبالرغم من أن الإسلام عمل على تنظيم الحياة الإجتماعية للمغاربة وتهذيب الذهنية المغربية، إلا أن الإنسان المغربي لم يتخل عن بعض رواسب معتقدات الديانات المتعاقبة عن بلاد المغرب. فقد كان للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا بالغ الأهمية والأثر في تاريخ بلاد المغرب، لما حمله معه هذا الفتح من تحولات وتغيرات جذرية شملت كل مناحي الحياة.

- وإن الأوضاع السيئة التي عانى منها المغاربة في فترات متفاوتة، على الصعيد السياسي والإقتصادي بداية من حكم الولاة الذين مارسوا سياسة مجحفة في حق سكان بلاد المغرب، وما أقدموا عليه من معاملاتهم السيئة لسكان المنطقة، ما أثر على الجانب الإقتصادي سلباً، وما لحق البلاد من كوارث طبيعية كالزلازل والأعاصير، وبشرية كالمجاعات والأمراض والأوبئة. هذه الإضطرابات الحياتية أثرت على سلوكه، فاستعان بالسحرة والدجالين، الذين يرى فيهم القوة والمقدرة على حمله إلى بر الأمان، وتغلبه على ضغوطات العيش، واتبع طريق الممارسات السحرية، التي لم يفرق بينها وبين المعجزات والكرامات، و لم يجد منتحلي النبوة والسحرة صعوبة في خداع المغاربة والسيطرة على عقولهم لسذاجتهم التي عرفوا بها وسرعة تصديقهم لكل ما هو خارق للعادة.

وفي الختام أرجوا أن يكون هذا الموضوع، الذي أثار استغراب البعض نقطة بداية لدراسات أخرى أكثر عمق وتفصيل وخاصة وأن هذه المواضيع بقيت في حكم المجهول المسكوت عنه.

والله ولي

التوفيق

الملاحـــــــــق

ملحق (01): جدول يوضح الأزمات التي عرفها المغرب الإسلامي[1]

السنة	نوع الأزمة	المنطقة	مظاهر الأزمة	المصدر والمرجع المعتمد
524-525ه 1129-1131م	قحط وجفاف	كل بلاد المغرب	نقص الإنتاج الزراعي	محمد المغراوي: المرجع السابق، ص179.
535-540ه 1140-1145م	مجاعة	كل بلاد المغرب	هجرة المغاربة إلى الأندلس	ابن الزيات: التشوف، ص183، البيان المغرب، ج4، ص98.
537- 547ه 1140-1145م	غلاء	جميع بلاد المغرب	شدة ودوام الغلاء	ابن الثير: الكامل، ج11، ص125.
544ه-1149م	حملات الوعظ والإعتراف	مناطق متعددة من بلاد المغرب	قتل الموحدون 32030شخصاً	البيدق: المهدي بن تومرت، ص102،105.
457-460ه 1061-1065م	أزمات سياسية بفعل الصراع	زواوة وبجاية	غياب الأمن والإستقرار في المنطقة	ابن خلدون: العبر، مج6، ص180،181،182.
510-514ه 1110-1120م	صراع سياسي الحماديين والزيريين	زواوة وبجاية	غياب المن والإستقرار في المنطقة	ابن خلدون: العبر، مج6، ص180،181، 182.
616-619ه 1216-1280م	القحط عم بلاد المغرب	عم كل بلاد المغرب	مجاعة كبرى حتى اضطر الناس فيها الى أكل نبات الأرض	ابن نضير الحموي: التاريخ المنصور، ص84.
714ه-1315م 749ه-1350م	وباء الطاعون	تونس وبجاية	حصد العديد من الأرواح	ابن الطواح: سبك المقال لفك العقال، ص201.

1- مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الوسط مابين القرنين(06هـ/09م)، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

749ه-1350م	وباء الطاعون	تونس وبجاية	كثرة الأموات	ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص265.
749-1350م	الحصار الزياني	زواوة وبجاية	غلاء الأسعار حتى وهنت قواهم	يحي بن خلدون: بغية الرواد، ص217.
القرن07ه	زحف الجراد	تونس وبجاية	إتلاف المحاصيل	الزركشي: تاريخ الدولتين، ص45.
القرن 08ه-14م 750ه-1380م	الوباء العام	بجاية والمغرب الأوسط	سقوط الكثير من الضحايا	ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، ص47.

الكشـــــــافات

1 – كشاف الآيات

2– كشاف الأحاديث

3– كشاف الأعلام